



الحكايات الشعبية العمانية ودلالاتها الاجتماعية والثقافية: دراسة أنثروبولوجية

عايدة فؤاد النبلاوي

أستاذ مساعد

قسم علم الاجتماع والعمل الاجتماعي

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

جامعة السلطان قابوس

سلطنة عمان

aidaf@squ.edu.om

تاريخ الاستلام: ٢٠١٤/١١/١٣

تاريخ القبول للنشر: ٢٠١٥/١٠/٠٤

الحكايات الشعبية العمانية ودلالاتها الاجتماعية والثقافية: دراسة أنثروبولوجية

عايدة فؤاد النبلاوي

مستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة أنثروبولوجية لبعض الحكايات الشعبية العمانية، ومناقشتها في ضوء ماهية الحكاية الشعبية، وأبعادها المنهجية، وخصائصها وأنواعها، ومحاولة تصنيفها. وتتبلور مشكلة الدراسة في أن للحكايات الشعبية دلالات اجتماعية وثقافية مهمة يكشف عنها محتوى أحداثها، ومن ثم فهي ذات دور مهم في دعم منظومة القيم والمعايير الثقافية، واستمرار الموروث الشعبي. ومنهجياً تنتمي هذه الدراسة إلى نوعية البحوث الوصفية، تعتمد على المدخل الأنثروبولوجي بالاستعانة ببعض أدواته في الدراسة الميدانية. وتم اختيار ولاية بهلاء بمحافظة الداخلية كمجتمع للدراسة. وخلصت النتائج إلى أن مضمون الحكاية الشعبية يكشف عن جملة العادات والتقاليد المتوارثة فضلاً عن أنها ذات دور حيوي في دعم نسق القيم والعادات والتقاليد والمعايير الثقافية، واستمرارية الموروث الشعبي. وعلى الرغم من تهديدات متغيرات العصر الحديث، إلا أن هناك مظاهر جديدة لاستحضار الحكاية الشعبية في الساحة الثقافية والفنية.

كلمات مفتاحية: التراث الشعبي، الحكايات الشعبية، الدلالات الاجتماعية والثقافية، منظومة القيم.

Omani Folk Tales: Anthropological Approach to Understand Social Culture Meanings

Aida Fouad Elnabalawi

Abstract

This study aims to provide an anthropological reading of some Omani folk tales and discusses them within their context and by their methodological dimensions. The study is also an attempt to classify folk tales. The research paper argues that folk tales have significant social and cultural semantics disclosed by the contents of their events. Folk tales have an important role in supporting the system of social values and cultural norms. Methodologically, this study is a descriptive research from an anthropological approach and uses its tools in the field study. The population study is located in the District of Bahla in the Governorate of Dakhliya. The results conclude that the content of the folk tales reveal the scope of the inherited norms and traditions and their vital role in supporting the social and cultural system, and in maintaining the folklore standards. Despite the threats to cultural values, new forms of folk tales representations in the cultural and artistic scene are taking place in the modern societal trends scene.

Keywords: Folklore, Folk Tales, Social and Cultural Semantics, System of Values.

حوله (السيد، ١٩٩٦: ٨٥)، فيسقط الطفل ما بداخله على أحداث وأشخاص الحكايات التي يسمعها ويتقمص بعضها مثل صورة الغول في حكاية «سبعة صبايا» بترديده جملة الغول الشهيرة «سبعة صبايا يطيح الليل وناكلهم»، أو يردد جملة في حكاية ابن آدم «رد بالك يا ابن آدم تقعد على فطرك نادم»، فتظهر هذه الحكايات كأول نافذة للطفل على العالم الخارجي، وعلى قيم هذا العالم الذي سيطلب لاحقا بالامتثال لها كشرط للانخراط والاندماج الاجتماعي. ومن ثم تبدو أهمية دراسة الحكايات الشعبية محاولة للاقترب من أحد عناصر التراث الشعبي العماني، بهدف الوقوف على أهم الدلالات الاجتماعية والثقافية التي تعكسها من منظور المدخل الأنثروبولوجي.

مشكلة الدراسة

وبناء على ما تقدم، تبدو أهمية دراسة الحكايات الشعبية في تعرف إبداع العقل الجمعي من خلال الكشف عن محتوى الحكاية الشعبية العمانية من موضوعات، ومعان تحملها، ذات دور مهم في استمرار الموروث الشعبي؛ لذا تحاول هذه الدراسة تقديم قراءة أنثروبولوجية لبعض الحكايات الشعبية العمانية، من حيث خصائصها وأنماطها. هذا مع محاولة تصنيف الحكايات الشعبية بالاعتماد على التراث المتوفر فضلا عن التصنيف القائم على أساس تنوع البيئات الاجتماعية في المجتمع العماني. وهذا يمهد الطريق نحو تقديم محاولة للكشف عن موضوعات الحكايات الشعبية؛ بهدف استخلاص أهم الدلالات الاجتماعية والثقافية، وذلك لمعرفة مدى دورها في استمرار الموروث الشعبي. وهنا يمكن بلورة مشكلة هذه الدراسة في تساؤل رئيس، هو: ما خصائص الحكاية الشعبية العمانية؟ وتصنيفاتها وأنماطها؟ وما الدلالات الاجتماعية والثقافية التي يكشف عنها محتوى أحداثها؟ ودورها في دعم منظومة القيم والمعايير الثقافية واستمرار الموروث الشعبي؟

أهداف الدراسة

ووفقا للتساؤل الرئيس لهذه الدراسة تتحدد الأهداف على النحو الآتي:

- ١- تعرف أهم خصائص الحكاية الشعبية العمانية.
- ٢- الكشف عن تصنيفات الحكاية الشعبية العمانية.
- ٣- تعرف أهم موضوعات الحكاية الشعبية العمانية.
- ٤- رصد أهم الدلالات الاجتماعية والثقافية للحكاية الشعبية العمانية، ودورها في استمرار الموروث الشعبي.

أكد المهتمون بالتراث الشعبي أن الحكاية الشعبية في مكان القلب من التراث الثقافي، وذلك على خلفية أنها نتاج فكري أنتجته الشعوب عبر مراحل تراكمية فاعلة في المحيط الاجتماعي، وسردت من خلالها ما مر بها من أحداث، وتوفر مادة وصفية لبعض الجوانب من الحياة الإنسانية. لذا يعد إحياء الموروثات الشعبية دليلاً على الأصالة والمعاصرة معا، وشاهداً على تمسك الإنسان بهويته، حفاظاً على وجدانه الجمعي وتعزيزاً لبنائه الاجتماعي؛ لذا فمن الأهمية إلقاء الضوء على الحكايات الشعبية لكونها لونا من السرد القصصي تنتقل من جيل إلى آخر، أو باعتبارها مرآة لعادات ومعتقدات الشعوب، تعكس شخصية الجماعة، وسمات الأشخاص الموجودين فيها. فضلا عن ذلك، للحكايات الشعبية دور وظيفي مهم في حفظ تراث الأمة، وتناقل الأحداث والمعايير الاجتماعية؛ حيث تنتقل المعارف والمعتقدات الثقافية عبر الحكايات الشعبية، وتعكس دلالتها الاجتماعية الخصوصية الثقافية للمجتمع. وتشهد الساحة في وقتنا الراهن اهتماماً بالحكاية الشعبية، خوفاً من انحسار الموروث الثقافي؛ وذلك نتيجة غلبة الثقافات الوافدة في عصر ما بعد العولمة كرد فعل لضجيج التكنولوجيا والثورة المعلوماتية، وصيحات الحداثة وصرخات العصرية في الفنون.

وتعد أيضا الحكاية الشعبية سجلا شفهيًا للحياة اليومية، ومصدرا من مصادر المعرفة التاريخية والواقعية، والتي ترتبط بأنماط العلاقات الإنسانية، وتعد كذلك تصويرا فنيا لمجموعة القيم التي توجه أنماط التفكير والسلوك في المجتمع الإنساني؛ لذا تعكس الحكاية الشعبية العادات والتقاليد وأشكال الإبداع الأدبي والفني معا (الجوهري، ٢٠٠٠: ٤٤٤-٤٤٥). وتتميز الحكاية الشعبية بصيغة معينة تستهدف التسلية وتربية الأبناء وتعليمهم الشجاعة والصدق والبطولة، فضلا عن حكايات الجن ومكر النساء ولعبة القدر وغيرها (أمين، ١٩٩٩: ٢٣٢). ومن المعروف أن الحكاية الشعبية تستند إلى أسس أخلاقية في مواجهة الأمراض الاجتماعية، مثل: الخيانة، والظلم، والاعتزاز بالدين، والجفاء، والغلظة، والكذب، والغيرة، وتبحث على الإيمان بالله، وبالقضاء والقدر، والأمانة والعفة والصدقة وغيرها...

وللحكايات الشعبية أيضا دور مهم في نماء عقل الفرد، وخاصة الصغار بما تقدمه من صور عالم الخيال، وهذا من شأنه أن يسهم في تنمية التخيل عند الطفل، وتكوين بعض المفاهيم الحياتية لديه، وتشكيل جانب كبير من إدراكه لمن

تساؤلات الدراسة

وبناء على مشكلة الدراسة وأهدافها تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن التساؤل الرئيس للدراسة من خلال الأسئلة الآتية:

- ١- ما أهم خصائص الحكاية الشعبية العمانية؟
- ٢- ما أهم تصنيفات الحكاية الشعبية العمانية؟
- ٣- ما أهم موضوعات الحكاية الشعبية العمانية؟
- ٤- ما أهم الدلالات الاجتماعية والثقافية للحكاية الشعبية العمانية؟ وما دورها في استمرار الموروث الشعبي؟

منهجية الدراسة

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة تطلب الأمر القيام بالآتي:

- الاطلاع على المخزون العلمي الاجتماعي المتوافر من دراسات وبحوث حول الحكايات الشعبية ودورها في الحفاظ على الخصوصية الثقافية للمجتمع.
- الاطلاع على منشورات وزارة التراث والثقافة.
- إجراء زيارات ميدانية لدراسة المجتمع المحلي، وجمع بعض الحكايات الشعبية العمانية الأكثر تداولاً في ولاية بهلاء بمحافظة الداخلية، وبخاصة في القرى التي تُرست. واستغرق العمل الميداني ما يقرب من أربعة أشهر.
- استخلاص محتوى الحكايات الشعبية العمانية التي جُمعت، من خلال اتباع طريقة تحليل المضمون الكيفي (النوعي). وذلك من خلال تصميم صحيفة تحليل محتوى للحكاية الشعبية تضمنت محاور تبدأ بالبيانات الأساسية عن اسم الحكاية، وشخصياتها المحورية، وخصائصها، وأنماطها، وتصنيفات الموضوعات التي تناولتها، والدلالات الاجتماعية والثقافية، ومدى استمرار الحكاية الشعبية في الوقت الراهن).

وتنتهي هذه الدراسة إلى البحوث الوصفية، وتحاول إلقاء الضوء على الحكاية الشعبية من حيث المفهوم والخصائص والأنماط، فضلاً عما تكشف عنه من موضوعات ودلالات اجتماعية وثقافية، ودور الحكاية الشعبية في الحفاظ على الموروث الثقافي. لذا فقد اعتمدت الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي باعتباره يهتم بدراسة العادات والتقاليد والمعتقدات وعناصر التراث الثقافي عامة، وأوجه الأنشطة الإنسانية المختلفة أيضاً. ومن خلال استخدام بعض أدوات المنهج الأنثروبولوجي المتمثلة في المقابلة سواء الفردية والجماعية للرواة والإخباريين والأهالي من أبناء المجتمع المحلي. وقد جُمعت الحكايات الشعبية من خلال التسجيل

مع الرواة وبعض كبار السن من الرجال والنساء. وقد تم ذلك في إطار استخدام مدخل «R.A.P» (طرق التقييم السريع)^(١) Rapid Assessment Procedures.

واستفادت الباحثة من طريقة دراسة المجتمع المحلي في دراسة بعض القرى بولاية بهلاء بمحافظة الداخلية، حيث تعد طريقة منظمة لجمع البيانات عن مجتمع محلي معين، و تساعد أيضاً على تكوين صورة واضحة للحياة الاجتماعية للمجتمع كله، بهدف تقديم وصف لأنماط العلاقات الاجتماعية، والنظم والأنماط الثقافية السائدة في المجتمع، تساعد على تحليل البيانات في ضوء ما يتمتع به المجتمع المحلي من خصائص. وفي إطار دراسة المجتمع المحلي، استندت الدراسة إلى دليل العمل الميداني أداة لجمع البيانات من الإخباريين أو الرواة وبعض الأهالي من الجنسين، وقد شملت المحاور الأساسية للدراسة.

مجتمع الدراسة

تم اختيار ولاية بهلاء بمحافظة الداخلية مجتمعاً للدراسة، نظراً لتوفر من يساعد على الوصول للإخباريين والرواة من أبناء الولاية. وتعد محافظة الداخلية من المناطق التي تزخر بتراثها الثقافي حسب ما ورد في أقوال المهتمين بشأن التراث الشعبي. وتبعد ولاية بهلاء عن العاصمة حوالي ٢٤٠ كم، وتبلغ مساحتها حوالي ٤٠٠ كم^٢، ويصل عدد قراها إلى (١١٤) قرية. وتتنوع البيئات الطبيعية في ولاية بهلاء على غرار التنوع البيئي في السلطنة، حيث تجمع بين الوادي والجبل والسهل. ويتخلل ولاية بهلاء عدد من الأودية المنحدرة من الجبل الأخضر وتلتقي بوادي بهلاء الكبير، وتتوافر المياه من الأفلاج والعيون فضلاً عن الأمطار على سفوح الجبال، ومن ثم ينتشر النشاط الزراعي إلى جانب الأنشطة الاقتصادية الأخرى كالرعي والعديد من الحرف والصناعات التقليدية. وتعد ولاية بهلاء غنية بتراثها المادي والحضاري، فضلاً عن تراثها اللامادي من عادات وتقاليد ومنظومة القيم الأساسية في ثقافة المجتمع العماني.

ونظراً لمتعة الباحثة بخبرة سابقة في استخدام بعض تقنيات المنهج الأنثروبولوجي وأدواته، تم إجراء ما يأتي:

- زيارات ميدانية لعدد من قرى ولاية بهلاء بمحافظة الداخلية. وتمت الاستعانة بالوالي ولاية بهلاء لتحديد بعض القرى للحصول على أكبر قدر ممكن من الحكايات الشعبية، وقد كان ذلك بناء على خبرة الوالي بالقرى التي يقطن بها عدد من الرواة والإخباريين وبخاصة

الموجهات النظرية والدراسات السابقة

- الموجهات النظرية:

- الحكاية الشعبية: مدخل أنثروبولوجي (المفهوم- والأبعاد)

لكل مجتمع إنساني ثقافته المميزة التي تحكم سلوك أعضائه من حيث علاقات التفاعل الاجتماعي التي تتم بينهم، وعلاقتهم ببيئتهم، فضلا عن علاقتهم بالعالم الطبيعي وما فوق الطبيعي. ويتعلم الإنسان ثقافته باعتباره عضواً في المجتمع، أي أنه يتعلمها من الأعضاء الآخرين في الجماعة الاجتماعية (ليله وآخرون، ٢٠١٠: ٤١٣). وهنا تعرف الثقافة بأنها «جميع مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ، بما في ذلك المخططات الضمنية والصريحة، والعقلية وغير العقلية، وهي موجودة في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة»، أي أنها أساليب السلوك النمطية التي يتعلمها المرء من خلال عضويته في جماعة اجتماعية، وتيسر على الفرد عمليات التكيف مع مواقف الحياة المختلفة (الجوهري، ١٩٩٠: ٦٣-١٠٧).

وفي هذا الإطار تتضمن الثقافة الشعبية المعارف والتصورات، والعادات والتقاليد، والتعبيرات الفنية الشعبية. وإن عناصر الثقافة الشعبية وثيقة الصلة بعملية اكتساب المعارف بوصفها مستودعا ضخما من الخبرة، ومن الاجتهادات الإبداعية التي أسهمت في إثراء الحياة العقلية، والوجدانية، والسلوكية للناس جميعاً؛ حيث اعتمدت الثقافة الشعبية في نقل المعارف على الجماعة والشفافية، وكان التناقل الشفهي سبيلاً إلى نشر المعارف وإعادة إنتاجها أيضاً (النبلاوي، ٢٠١٢: ١٠٢-١٠٣).

وتعد الحكايات الشعبية أحد عناصر التراث الشعبي الشفهي، الذي يعد جزءاً من المعارف الشعبية، أو الثقافة التقليدية التي تتناقل بين الأجيال مشافهة، لا بالشكل المكتوب، ومن ثم يقف على طرفي نقيض مع التراث الرسمي المتعلم (مرسي، ١٩٨١: ١٣). ويعد التراث الشفهي مصدراً للمعلومات حول الأنساق الثقافية والاجتماعية المعاصرة، ويعد أيضاً تسجيلاً لتاريخ الجماعة (سميث، ١٩٩٨: ٢٤٣). لذا نحاول في هذا الجزء أن نعرض على ماهية الحكاية الشعبية، والأبعاد المنهجية لدراسة الحكاية الشعبية.

١- ماهية الحكاية الشعبية

وتعرف الحكاية بأنها نتاج فكري أنتجته الشعوب عبر تاريخها الطويل، وأودعت بها قصصها، وما مرّ بها من أحداثٍ وتعطي وصفاً لبعض الجوانب من الحياة الإنسانية، والأحداث التاريخية المختلفة، فتعيد لذاكرة الأبناء صور

كبار السن، ومن ثم جُمعت الحكايات من أربع قرى بولاية بهلاء بمحافظة الداخلية هي (المعمور، وبلاسييت، والحبي، وبسيا).

- زيارات ميدانية لعدد من الإخباريين والرواة في القرى المختارة للدراسة الميدانية.

- المقابلات الفردية والجماعية مع بعض القيادات المحلية والأهالي.

- وقد تمت الدراسة الميدانية بمعاونة طلاب تخصص علم الاجتماع المنتمين لمحافظة الداخلية لكشف محتوى اللهجة المحلية، بعد تدريبهم على كيفية إجراء المقابلات وجمع الحكايات، بحيث أصبح العمل الميداني درساً عملياً لما يدرسه في قاعات الدرس.

- وتم اختيار (١٤) حكاية شعبية من بين عدد كبير من الحكايات التي جُمعت للدراسة الراهنة. وقد تم اختيارها وفق معايير محددة منها: أن تكون من الحكايات الشعبية الأكثر انتشاراً في مجتمع البحث، وتجمع بين أكثر أنماط الحكايات الشعبية في البيئة العمانية (بدو- ريف- حضر)، فضلاً عن تنوع موضوعاتها.

وتعرف الحكاية الشعبية إجرائياً في هذه الدراسة بأنها: نتاج فكري للبيئة الاجتماعية عبر تاريخها الطويل، وتعكس خلاصة تجارب أفراد المجتمع، وتعطي صورة حياة لواقع المجتمع العماني عبر مراحل تاريخه. ويطلق على الشخص الذي يحكيها اسم (الراوي) الذي قد يكون رجلاً أو امرأة، شيخاً أو شاباً، ويروي حكايته لمجموعة من المستمعين الصغار أو الكبار. ولكل حكاية اسم يستمد من عنصر بارز فيها من الشخصيات أو الأحداث. وللحكاية الشعبية نوعان، نوع يكثر فيه الخيال، وتغلب عليه الأسطورة، وتتكلم فيه الحيوانات، وهو ما نقصه النساء عادة على أطفالهن، ونوع آخر عبارة عن حكايات وقصص هادفة تعطي وصفاً لبعض الجوانب من الحياة الاجتماعية. وتتميز الحكاية الشعبية بالحرية، حيث قدرة الراوي على الإضافة والحذف وفقاً لذاكرته وأهوائه أحياناً، ولكن لا تخرج عادة عما هو سائد في المجتمع.

كما تعرف الدلالات الاجتماعية والثقافية للحكاية الشعبية إجرائياً أيضاً بأنها: ما يكشف عنه محتوى الحكاية الشعبية من مضامين تتعلق بأي جماعة تتحدث عنها الحكاية، وفي أي بيئات ومستويات اجتماعية تدور أحداث الحكاية، والعادات والتقاليد والمعتقدات ومنظومة القيم التي تحاول الحكاية غرسها في نفوس متلقيها.

رزقه الله بها، يحزن ويسأل الله العوض، حتى يصطاد سمكه لطعامه فيجد في جوفها لؤلؤة كبيرة. ومن أكثر الحكايات الشعبية شهرة في المجتمع العماني حكاية الصياد، التي تتحدث عن رجل يذهب بشكل متكرر ثلاث مرات يوميا إلى البحر ليصطاد السمك. وكذلك حكاية أبي البنات السبع وأبي الصبيان السبعة، التي تطرح موقف المجتمع من الأبناء الذكور. وحكاية مدفع العجوز، فقد استطاعت تلك العجوز حمل المدفع الثقيل إلى أعلى حصن الحزم، مما أدى إلى المساعدة على فك الحصار عن الحصن (وزارة التراث، ١٩٩٣: ١٠٨).

٢- الأبعاد المنهجية لدراسة الحكاية الشعبية

وفي صدد دراسة إحدى عناصر التراث الشعبي وهي الحكايات الشعبية للوقوف على الدلالات الاجتماعية والثقافية التي تعكسها، لا بد من إلقاء الضوء على منهجية دراسة التراث الشعبي، الذي يتميز في مفهومه المعاصر بوحدة المنهج، حيث يلاحظ أن المنهجين التاريخي والجغرافي يركزان على الثقافة الشعبية نفسها بمعزل عن حاملها إلى حد ما، بينما المدخل الأنثروبولوجي يتجه مباشرة إلى حامل هذه الثقافة الشعبية؛ وهذا من غير شك يساعد على تفسير العلاقات القائمة بين الشعب والثقافة الشعبية (الجوهري، ١٩٨٨: ١٨٥).

وهنا يجب أن نؤكد أن الإنسان حامل هذا التراث، وهو الذي ينقل هذه الظاهرة عبر الزمان وينشرها عبر المكان، فهو وراء الظاهرة المدروسة، ولا وجود ولا حياة لهذه الظاهرة من دونه، ويصدق ذلك بشكل خاص على العادات، والمأثورات الشفهية، والمعتقدات بأشكالها المختلفة، والمعارف الشعبية التي لا يمكن أن نصادفها بعيدا عن حاملها.

ومن جانب آخر، يتداخل المدخل الأنثروبولوجي مع المدخل السوسيولوجي في إلقاء الضوء على البعد الاجتماعي لعناصر التراث الشعبي. فهذا الاتجاه الأخير لا يهتم بتاريخ أو مدى انتشار أغنية شعبية أو حكاية معينة فحسب بل يهتم أكثر بجماعة الغناء أو الجماعة التي تروى فيها الحكاية، أي لا يمكن أن نتجاهل السؤال المهم: في أي جماعة محلية، وطبقات اجتماعية، وأي مهنة ينتشر العنصر الشعبي المدروس. ولا شك أن ما يحدث من تفكك لبعض الجماعات المحلية التي كانت تتمتع في الماضي بقدر كبير من التماسك والعزلة، أو إعادة تكوين وترتيب للطبقات الاجتماعية، تبدو ظاهرة عامة في المجتمعات النامية، على غرار ما حدث في المجتمعات الأوروبية، وهذا ما يطلق

آبائهم وأجدادهم ومواقفهم وأعمالهم. والحكاية الشعبية في اللهجة الخليجية يطلق عليها «الحزاية»^(٢) وجمعها «الحزاي» التي تختلف عن السالفة وجمعها «سوالف»، وهي حكايات ذات طابع تفريري (سميث: ٤٤٤). والحكايات الشعبية أو كما يطلق عليها في اللهجة العمانية المحلية (الحزى ومفردتها حزاية)، أو في بعض المناطق (خروفة) هي فن من الفنون الأدبية الشفهية للمجتمعات منذ القدم، وهي نوع من الإبداع الفكري للإنسان في عصر لم يوجد فيه أي نوع من الاتصال الإعلامي سواء كان مرثيا أو مقروءا أو مسموعا. فكانت الحكايات وسيلة للتواصل بين الأجيال لترابط الحاضر بالماضي (الذهب، ٢٠٠٧: ٧-٨).

وعلى جانب آخر، تتداخل كل من الحكاية الشعبية والأسطورة والخيال، مع العلم أن البنية الحكائية واحدة، فالحكاية الشعبية ذات طابع اجتماعي تعالج هموم الإنسان اليومية ومشاغله بأسلوب أكثر واقعية، مثل زوجة الأب الثانية الحاقدة على أبناء الزوجة الأولى المتوفاة، أو البنت الصغرى أو الابن الأصغر المحبب لدى الأسرة أكثر من إخوته، أو العقم وغيرها. أما الأساطير، فقد ذهبت إلى أبعد من ذلك إلى أصل الكون وتكويناته، وموت الإنسان وبعثه؛ حيث تهدف إلى حل لغز معنى الحياة وسر الوجود. وتتمتع الأسطورة بالقدسية والسطوة على عقول الناس ونفوسهم في الماضي، في الوقت الذي اقتربت فيه الحكاية الشعبية من القص الطفولي في الحاضر. وهناك الحكاية الشعبية الخيالية التي تقترب من الأسطورة، وذلك بسبب أحداثها البعيدة عن الواقع، وشخصياتها التي تتحرك بين المستويين الطبيعي وما فوق الطبيعي، وتتشابك علاقاتها مع كائنات غير منظورة مثل الجن والعفاريت والأرواح الهائمة، بل تدخل مع الآلهة الأسطورية في مسرح الأحداث أحيانا (الشيدي، ٢٠٠٨).

وبوجه عام، تصنف الحكاية الشعبية لونها من السرد القصصي لأحداث معينة، وعادات وتقاليد أشخاص معينين في قطاع مكاني محدود، ومرحلة زمنية معروفة، ولكن بأسلوب فني يعتمد على السرد، واستثارة خيال السامعين وأحاسيسهم وهم ينصتون للراوي، وهو يقص صراع البطل ضد أعداء قومه، ويكبرون في نفوسهم تواضعه حينما يعود منتصرا، ويبحثون مع البطل المحب، وهو يغالب العقبات التي تحول بينه وبين الحصول على اللؤلؤة المجهولة التي تطلبها حبيبته، ويتعاطفون في حنان مع البحار الذي سقط من سفينته ليصارع البحر والموج، أو تاجر اللؤلؤ حين يفقد لؤلؤه الذي جمعه عندما يسقط منه في البحر، ولكنه لا ييأس، والغواص الفقير حين تضيع اللؤلؤة الوحيدة التي

الثقافي الحي في المأثورات الشعبية العربية، باعتبار أن الحكايات الشعبية العربية كغيرها من أنماط الإبداع الشعبي العربي، تجمع في أصولها الثقافية عناصر وموروثات ثقافية ذات أصول واحدة ومتماثلة. وناقش المؤلف مفهوم الحكاية الشعبية باعتبار أن الحكاية الشعبية مصدر أساس لكل المرويات الشفهية، فضلا عن الاتجاهات العلمية لدراسة الحكاية الشعبية، وما تتسم به بنيتها بوصفها وحدة من وحدات الثقافة الشعبية. وقدم المؤلف مجموعة من الحكايات الشعبية الكويتية، منها حكاية الغواص والبحر، وما في عالم البحار من عجائب وغرائب، وحكايات الحب والمغامرات، وحكايات كائنات غيبية مثل الغول. وحكايات من البادية، وهي حكايات تختص بالعبادات والتقاليد ونظم المعاملات في المجتمع البدوي بأعرافه الخاصة. وانتهى المؤلف إلى أن الحكايات الشعبية تراث ومأثور، وسجل شفهي للحياة اليومية، ومصدر من مصادر المعرفة التاريخية، والواقعية.

- وتهدف دراسة السيد (١٩٩٦) إلى تعرف بنية الحكاية الشعبية في علاقتها بتنمية التخيل عند الطفل، وإلقاء الضوء على مضمون الحكاية الشعبية في علاقته بتكوين بعض المفاهيم الحياتية لدى الطفل. وانتهت الدراسة إلى أن للحكاية الشعبية دورا في تنمية التخيل عند الطفل، حيث إن المزج بين الخيال والواقع يمثل أهمية خاصة في تنمية قدرة الطفل على التخيل، كذلك قد تمتد وظيفة التخيل إلى إعداد الطفل لحياة الراشدين، وإن للحكاية دوراً في تكوين وإرساء بعض المفاهيم الحياتية الأساسية في مرحلة الطفولة ومساعدة الطفل على مواجهتها والتعامل معها. هذا فضلا عن المفاهيم الحياتية التي تسهم الحكاية الشعبية في طرحها، منها مفاهيم الموت مقابل الحياة، والنجاح في مقابل الفشل، والإخلاص مقابل الخيانة، والكذب مقابل الصدق، وغيرها من المفاهيم الأخرى ذات الأهمية في إرساء الإطار القيمي للفرد، الذي ينمو بنمو خبراته اليومية طوال حياته.

- وتأتي دراسة الصباغ (١٩٩٧) بهدف تعرف أهم ملامح المرأة والقيم التي كانت تتمسك بها، وتوضيح سمة التضاد في صورة المرأة في الحكاية الشعبية. وخرجت الدراسة أن هناك سمات ظاهرية كثيرة للشخصية النسائية في القصة الشعبية مثل حلي المرأة وزينتها، وتوصف المرأة بأنها ولود أو عقيم، عليلة أو صحيحة. والاهتمام بالقيم المعنوية للمرأة التي تكون السمات الخارجية والشكل الخارجي هي الدالة عليها. وتكون بطول الحكايات الشعبية غالبا ذات شخصية نسائية. وتتنوع صور التضاد في الملامح المعنوية لنساء الحكايات الشعبية القطرية، فقد تجمع المرأة صفات الخير والصفاء والكرم والطيبة والتسامح، وتكون شخصية

عليه عمليات التحول الاجتماعي التي تجعلنا نهتم بمشكلة البعد الاجتماعي للثقافة الشعبية بشتى عناصرها (الجوهري، ٢٠٠٩: ٤٤-٤٥).

وبناء على ما سبق، فإن دراسة الحكاية الشعبية تُتناول وفق أبعاد منهجية مهمة هي: البعد التاريخي، الذي ينظر للحكاية الشعبية باعتبارها نتاجا فكريا أنتجته الشعوب، تعكس خلاصة تجاربهم عبر مراحل تاريخها. أما البعد الجغرافي فيكشف عن خصائص البيئة الجغرافية المحيطة بالحكاية الشعبية، ومدى فاعليتها في مجرى الأحداث. وهناك بعد ثقافي مهم ينظر للحكاية الشعبية جزءاً من الموروث الثقافي للمجتمع، لما تحويه من كم هائل من القيم والعادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية التي غالبا ما تتجسد في مضمون الحكاية، وشخصياتها المحورية. أما البعد الاجتماعي فيهتم بواقع البيئة الاجتماعية التي تستمد منها الحكايات الشعبية موضوعاتها وأحداثها، وتعكس ظروف البنية الاجتماعية بمنطقة معينة دون غيرها؛ وذلك من خلال المادة التي تحتويها تلك الحكايات، فضلا عن البعد النفسي للحكاية الشعبية باعتبارها إحدى وسائل التربية والمتعة والترفيه يستأنس بها الكبار والصغار معا.

- الدراسات السابقة

- هدفت دراسة ساعي (١٩٧٤) إلى جمع ميداني للحكايات الشعبية في اللاذقية إحدى المدن السورية. والكشف عن جذورها ومصادر المكانية والبشرية؛ حيث يرى الباحث أن هناك علاقة بين الحكايات الشفهية وحكايات ألف ليلة وليلة، وهي حكايات شعبية عربية. وأن هناك أيضا ثلاثة خزانات فولكلورية كبرى في العالم هي، مصر والهند وبلاد الرافدين، ولربما كانت مصر هي الرافد الرئيس لحكايات اللاذقية، التي يجمع سكانها بين البداوة والحضر. وقد قسم الباحث الحكايات إلى ثلاثة أقسام هي: حكايات الأطفال الصغار دون العاشرة، والتي شملت غالبا حكايات الحيوان. وحكايات المراهقين دون السادسة عشرة، وهي تعتمد في الغالب على المغامرات المليئة بالخرافات والأوهام، وما يتعلق بالعشق والحب والزواج. وحكايات الكبار وتشمل الحكايات العنيفة والخالية من الخرافات قدر الإمكان. وتقوم أهم موضوعات الحكايات على أساس أخلاقي، حيث تعالج العيوب الاجتماعية. وانتهت الدراسة إلى أن كثيرا ما يترك أبطال الحكايات بلا أسماء، وربما اصطنع لها الراوي أسماء من عنده، كما تعتمد على الشكل الدقيق للأحرف كما ينطقها أهل الإقليم.

- أما دراسة كمال (١٩٨٦) فسعت إلى الكشف عن التواصل

في دول البحر المتوسط، وأهم أنواع التقليد الشفهي المتداول فيها، وتعرف الموضوعات الأسطورية أو الاجتماعية التي تتضمنها الحكايات الشعبية من خلال عرض بعض النماذج منها. والتطرق إلى أهم التغيرات ومدى تأثيرها في الحكايات الشعبية. وانتهت الدراسة إلى أن الحكاية الشعبية هي شكل من أشكال التعبير الشعبية، وهي جزء من مجال أشمل يسمى الأدب الشفهي، وأن الحكاية الشعبية هي قصة نثرية خيالية متضمنة لوقائع ومجريات بسيطة أو عجيبة. ويمتاز التقليد الشفهي الحكائي بغنى وتنوع أجناسه وجنسياته. وفي الوقت الحاضر أصبحت الحكاية الشعبية قليلة التأثير بسبب تطور وسائل الإعلام الحديثة.

وفي ضوء مشكلة البحث وموجهاته النظرية من خلال تبني المدخل الأنثروبولوجي لدراسة الحكايات الشعبية، الذي تناول ماهية الحكاية الشعبية والأبعاد المنهجية لدراستها، فضلاً عن عرض لبعض الأدبيات التي تناولت الحكايات الشعبية بعدّها عنصراً مهماً في التراث الشعبي الشفهي. شملت الدراسة أربعة محاور تبدأ بتناول الحكايات الشعبية من حيث الخصائص والأنواع. والمحور الثاني، يقدم محاولة لعرض أنماط الحكايات الشعبية العمانية من واقع الدراسة الميدانية. ويتناول المحور الثالث، تصنيف موضوعات الحكاية الشعبية العمانية، من خلال تحليل محتوى نصوص الحكايات المختارة. أما المحور الرابع، فهو محاولة لاستخلاص بعض الدلالات الاجتماعية والثقافية للحكايات الشعبية العمانية، ودورها في دعم منظومة القيم والعادات والتقاليد والمعايير الثقافية، واستمرار الموروث الشعبي. وفي النهاية نعرض لأهم استنتاجات الدراسة والتوصيات.

أولاً: الحكاية الشعبية: الخصائص والأنواع

أشارت أدبيات دراسة الحكايات الشعبية أن من أبرز خصائصها التداول الشفهي، فعندما يتولى بعض الكتاب إعادة كتابتها كما في حكايات التراث، نجد أنهم يشيرون إلى مصدر جمعها ومجهولية قائلها، كأن يُقال: حكى أعرابي، أو قال الراوي، أو يحكى أن... إلخ، وتتميز بالعراقة، أي من الصعب البحث عن أهلها ونشأتها رغم أنها ملازمة للإنسان. والحكايات الشعبية وليدة ظروف ومعطيات البيئة، ومن ثم فإن لكل مجتمع حكايات وروايات وأساطير، تبدو بين الحقيقة والخيال، وتدعو إلى الدهشة والاستغراب، وقد ساد الاعتقاد بأنها حدثت، ويعاد سردها، وقد تحمل بعض المبالغة، حين تجسد عظمة القدماء وبريق بصماتهم (وزارة التراث، ١٩٩٠: ٢١٠)، لذا فهي كما أشار سميث (١٩٩٨) نتاج فكري للشعوب عبر تاريخها الطويل.

امرأة أخرى تمتاز بالعدو والخداع والمكر. وفي الغالب تعاقب الحكاية شخصية المرأة البغيضة ذات الخلق السيئ، وتكافئ المرأة الخيرة الطيبة من خلال أحداث الحكاية.

- وهدفت دراسة الجرو والعلوي (٢٠٠٧) إلى تعرف نماذج من التراث الفكري والأخلاقي للأمة العربية في تاريخها القديم، فضلاً عن تعرف التراث والتجديد. وخرجت الدراسة بأن نشوء التراث ليس وفقاً على مرحلة تاريخية بعينها بل على الوجود الاجتماعي الإنساني؛ حيث إن كل وجود ينتج بالضرورة تراثه الخاص به، إذ لا يجوز أن نحصر التراث عند حد زمني ومكاني معين. ويمر التراث عبر مسيرته التاريخية بمراحل فاعلة في المحيط الاجتماعي، تصاحبها في كثير من الأحيان تحولات تاريخية، لا تلغي في الغالب الأبنية التراثية، حيث تمتلك الأخيرة مقومات الاستمرارية، مما يجعلها تتخطى حدود مرحلتها التاريخية السابقة، ولكن النخطي لا يتحقق إلا من خلال التفاعل مع الأوضاع الجديدة بأشكال متفاوتة، فقد تخضع بعض العناصر التراثية للاستمرار بالمعنى التاريخي الاجتماعي النسبي كالإيمان بالحياة الأخرى، وبعضها تفقد الاستمرارية لأنها غير مسابرة للحياة الاجتماعية، وأن الحفاظ على التراث لا يعني الجمود والانغلاق، بل الانفتاح الرحب على الثقافات الأخرى.

- أما دراسة عقيل (٢٠٠٨) فهدفت إلى تعرف كيفية نقل التاريخ والتقاليد عبر الحكايات الشعبية، وتلقيين أفراد المجتمع لا سيما الأطفال أهم المعايير الاجتماعية السائدة، والسلوكيات المناسبة، والدور الذي يجب أن ينطاط بهم في المجتمع. وقد وصف الباحث بعض مظاهر التمييز ضد المرأة في الحكاية الشعبية لا سيما مظاهر الصمت والخضوع والجمال. وانتهت الدراسة إلى أن الحكاية الشعبية هي ضرورة حيوية لاستمرارية العادات والقيم الثقافية، من خلال ما تتضمنه من مضامين اجتماعية. وقد أكدت الدراسة استمرارية العادات الثقافية السائدة التي تدعم مفهوم التسلسل البطريكي وضرورة خضوع المرأة واستمرارية هيمنة المجتمع الذكوري وتسلطه. وذلك من خلال رسم صورة المرأة بأنها إنسانه ضعيفة ولا يمكن أن تكون قوية نتيجة انقيادها إلى عواطفها. بالإضافة إلى وصفها بأنها صامتة، وسلبية، جميلة، وخصبة. وتسعى للزواج ولكنها غير طموح، ومن ثم عدم قدرتها على حماية نفسها من الأذى أو الأوضاع الخطرة، ثم حاجتها إلى الرجل الذي يستطيع أن ينفذها.

- وسعت دراسة الشاذلي (٢٠٠٩) إلى تعرف مفهوم الحكاية الشعبية وموقعها من الأدب الشفهي، ومكانة الحكاية الشعبية

ويعود ليشرح ما لاقى من خوف و هلع في تلك الأماكن، فيقصون قصصا أقرب إلى الخيال عن حكايات مفزعة حدثت مع بعضهم، أو سمعوا بها، أو تعرض بعضهم لها في يوم من الأيام. والمناطق الخالية ليست مكنما للجن وحسب فهناك خوف من قطاع الطرق الذين يختبئون عادة في المقترقات، وبين الأودية والجبال، فيظل السائر بمفرده يعيش في دوامة من الخوف من المجهول حتى يبتعد عن تلك الأماكن الموحشة أو يجد رفيقا يؤنسه في طريقه. وهناك أماكن خاصة تدور حولها حكايات مختلفة ومتعددة، كشجرة مفردة في الصحراء، أو مفترق طرق في واد عميق، أو طريق خالية لا يسكن بجوارها أحد وغير ذلك.

أما حكايات أهل القرى (أهل الحضر في الثقافة العمانية)، فتدور أحداثها حول الفقر ومشكلاته المختلفة والتطلع إلى الغنى عن طريق عفريت من الجن، أو العثور على كنز مرصود مليء بالجواهر الثمينة، أو العثور على آثار قديمة نادرة وغالية الثمن في مغارة أو في قبر دارس قديم، أو في بئر مهجورة أو غير ذلك. ومن الطبيعي أن حكايات أهل القرى لا تخلو من قصص البطولة والوفاء والكرم والذود عن الحمى، وإكرام الضيف وغيرها، إضافة إلى قصص السحر التي تسود بين النساء في كل مجتمع قرويا كان أو مدنيا أو صحراويا. ومن هنا نرى أن حكايات أهل القرى تتسم بطابع القرية وظروفها الخاصة فتراهم يتحدثون عن الطابون (المطبخ) والفرن، وفلاحة الأرض، وزراعة الكروم، والحراثة على البغال وغير ذلك. ونرى في بعض القصص الثعلب وقد دخل الطابون وسرق الحليب الذي تسخنه العجوز- والطابون يكثر في القرى دون غيرها من المناطق- وهكذا فإن القرية ببيئتها الخاصة وجوّها المميز تطبع تلك الحكايات بما يميزها عن غيرها من المناطق.

أما حكايات أهل المدن، فتدور أحداثها حول التجار ومغامراتهم ومغامرات أبنائهم، وما يحدث معهم من قصص الغش والمكر والخداع وغير ذلك، وذلك يعود إلى جو المدينة الذي تكثر فيه التجارة والحركة اليومية النشطة، بالإضافة إلى قصص الجوّاري والخدم، ومحاولة الوصول إلى التجار الكبار أو الوزراء أو الملوك، وحكاياتهم المختلفة ومتنوعة حول هذا الموضوع، فضلا عن قصص الغرام التي تحدث بين أبناء الطبقات الغنية والفقيرة، وما يصاحب ذلك من مشاكل تفرضها الفروق الاجتماعية. ويفقد دور المرأة جماله ويبدو أكثر شحوبا في كثير من قصص أهل المدن بسبب كثرة الجوّاري والوجوه النسائية المختلفة، وهذا لا ينفي وجود حكايات كتلك التي تحدث في القرى حيث لا يخلو مجتمع من قصص البطولة والشجاعة والكرم، وإن

إضافة إلى ذلك، تتميز الحكاية الشعبية بسمات أخرى كالإضافة والحذف، وفقا لذاكرة الراوي وأهوائه أحيانا، وعدم استقرارها في مكان واحد بل تنتقل بانتقال الراوي، وهي شفوية غير مكتوبة، ومؤلفها مجهول، وتدور حول أشخاص من نسج الخيال، وأحيانا حول شخصيات تاريخية، وتكون لغتها بسيطة عامية أو فصيحة، ولكن هذا لا يعني خلوها من البلاغة، وتنصف بالانتشار عند العامة والخاصة، وهي تتشابه في جميع أنحاء العالم من حيث المضمون، ولكنها تختلف من حيث الصياغة، وتتميز الحكاية أيضا بفكرة الحرية والتخلص من محدودية الزمان والمكان، وتجدر الإشارة إلى أن الظرف التاريخي والجغرافي والاقتصادي يؤدي دورا في إنتاج الحكايات الشعبية أيضا.

أما بالنسبة لأنواع الحكايات الشعبية، فقد طرح بعض الدارسين نوعين حسب جدية الحكاية ومدى فائدتها، فهناك نوع يكثر فيه الخيال، وتتكلم فيه الحيوانات من أفاع وحيات و ثعالب وغيرها، وتكثر فيه الغول وأفعالها العجيبة، وهذا النوع هو ما تقصه النساء على الأطفال، ويغلب عليه طابع الخيال والأسطورة. والنوع الآخر عبارة عن حكايات هادفة تستخلص منها العبر، وإن كان فيها بعض اللهو مما يفضله الرجال في مجالس سمرهم. وأحيانا يقصد منها إظهار حجة دامغة بقصد إثبات قضية على شخص معين في حال اللجوء إلى حل المشاكل العشائرية المختلفة، التي تثبت للطرف الآخر حدوث مثل هذه القضية ولها بالشكل الذي ترويه الحكاية. ومن أنواع الحكايات أيضا: قصص الحيوانات، وحكايات هزلية، وحكايات ملغزة، وحكايات أخرى غير مصنفة. وهناك أيضا من يصنفها إلى: حكايات سحر وجن، وحكايات دينية وغيبية، وحكايات رومانسية (الشاذلي، ٢٠٠٩: ١٢-١٤).

وهناك تصنيف آخر للحكايات الشعبية وفقا لتباين البيئات الاجتماعية في السياق الثقافي للمجتمع العماني، حسب ما أشار إليه الإخباريون. فهناك حكايات أهل البادية والصحراء، التي تمتاز بطابع خاص يربطها بتلك الصحراء وظروفها ومناخها، وطبيعة الحياة والمعيشة فيها؛ فنجد لديهم حكايات عن الكرم، وهو ما يتفاخر به أهل الصحراء، والفروسية، والغزو، والصيد، والصبر، والأناة، ورعي الأغنام، أو موارد الماء، وكل هذه الأشياء من صميم حياة البادية وأهلها. أما القسم الأكبر من حكاياتهم الشعبية فيدور حول الجنّ والعفاريت والغول والأشياء الغريبة التي يرويها أهل الصحراء نظرا لوجود مناطق خالية وغير مأهولة يشعر المر بها بالوحشة والخوف في بعض الأحيان، فإذا ما مر شخص بهذه المناطق الخالية يصاب بالفزع الشديد،

كانت تكثر في مجتمع وتقل في آخر.

ومما سبق يتضح أن هناك تنوعاً في الحكايات الشعبية بالبيئة العمانية وفقاً للأبعاد الجغرافية والتاريخية، وهذا يعكس بطبيعة الحال تنوعاً في الدلالات الاجتماعية والثقافية. وهذا يتسق مع ما هو معروف بوحدة المنهج في دراسة التراث الشعبي (الجوهري، ٢٠٠٩) كما سبقت الإشارة. وهذا يتضح من عرض أنماط الحكايات الشعبية، وتصنيف موضوعاتها ومضامينها في السطور الآتية.

ثانياً: أنماط الحكايات الشعبية في ولاية بهلاء

يتناول هذا الجزء الحكايات الشعبية العمانية في ولاية بهلاء بمحافظة الداخلية في محاولة لتعرف بعض الحكايات في الولاية، ومحاولة تصنيفها. وقد تم الاستفادة من المادة الميدانية بالرجوع إلى الرواة والإخباريين في مجتمع الدراسة. فمن أهم الحكايات الشعبية في المنطقة الداخلية بناء على نتائج الدراسة هي حكايات (قحيص)، و(الحرمة والبرشي)، و(الموز والمرجل)، و(المرأة التي تحدث الشيطان)، بالإضافة إلى مجموعة من الحكايات الأخرى. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الحكايات هي الأكثر شهرة وانتشاراً في القرى التي شملتها الدراسة الميدانية، ولكن تختلف من رواية إلى أخرى؛ بالنسبة لشخصيات الحكاية ومسمياتها، أو في بعض أحداثها، لأن الحكاية الشعبية تتميز بحرية الراوي كما سبقت الإشارة. وهذا ما أشارت إليه دراسة (ساعي، ١٩٧٤) فكثيراً ما يترك أبطال الحكايات بلا أسماء وربما اصطنع لها الراوي أسماء من عنده.

وجدير بالذكر أن هذه الحكايات لم تنتشر أو تعرف بعناوين محددة وواضحة، ومن ثم وُضعت لها أسماء تتناسب مع مضمون الحكاية لأغراض التصنيف فقط، وذلك من اتخاذ عنصر بارز فيها من الشخصيات أو من الأحداث؛ وجاءت هذه الخطوة بهدف التصنيف والدراسة. ومن ثم فإن الحكايات الشعبية المتداولة بين الرواة والإخباريين تصنف حسب ما يحمل مضمونها من معانٍ أو شخصيات.

وتتعدد الحكايات الشعبية العمانية فهناك الحكايات الشعبية التي تعتمد على محاكاة الواقع واتخاذ موضوعاتها من مجريات الحياة اليومية ومشكلاتها، فضلاً عن الحكايات التي تعتمد على الخيال الشعبي، ثم حكايات السحر والسحرة. وعلى جانب آخر، تعكس الحكايات الشعبية العمانية في بعض قرى محافظة الداخلية نمط حياة أهل القرى (الحضر)^(٣)، وهو النمط السائد فضلاً عن عدد محدود يعكس نمط حياة أهل البادية؛ وهذا يتسق والطبيعة الجغرافية لمحافظة الداخلية.

وتضمنت بعض الحكايات صعوبة طبوغرافية الأرض أحياناً لينسج الخيال الشعبي حولها أحداثاً تدور حول صراع بين الخير والشر، وقدرات غير طبيعية لبني البشر كامرأة عجوز تتسلق الجبال، والطفل المعاق الذي يخوض أهوال الوادي.

ونظراً لتنوع البيئات من سهول ووديان وجبال وانتشار المناطق الزراعية في بعض الأماكن، فقد ورد ذكر مزارع النخيل، والموز، وأشجار السدر، وثمر النبق، فضلاً عن الرسم وغيرها من المحاصيل الزراعية، وقد اعتاد الناس في القرى على جلب المياه من الوادي القريب من القرية. أما أهل البادية فقد اعتادوا على جلب الحطب من الصحراء، فضلاً عن رحلات الصيد، ورحلات القيقظ خلال فصل الصيف لجني الرطب، وجلسات السمر والقهوة من العادات الأصيلة في الثقافة العمانية. وفي محاولة لتصنيف الحكايات الشعبية، صنفت الدراسة بناء على طبيعة سرد الأحداث والمضامين التي تطرحها الحكايات إلى ثلاثة أنماط أساسية هي: حكايات واقعية، وحكايات خيالية، وحكايات السحر. وهذا التصنيف الأكثر استخداماً في أدبيات الحكاية الشعبية، وأشار إليه (كمال، ١٩٨٦) في دراسته حول الحكايات الشعبية في الكويت.

١ - حكايات واقعية

الحكايات الشعبية الواقعية هي التي تروي أحداثاً من واقع الحياة الاجتماعية التي عايشها الأجداد. وفي هذا الإطار شملت الدراسة تسع حكايات، الحكاية الأولى «الرجل الأعمى وبناته الثلاث» تحكي قصة ثلاث أخوات تحاول الأولى والثانية إيذاء والدهما، بينما الابنة الصغرى محبة لوالدها فتكافأ بزواجها من فارس. أما الحكاية الثانية «المرأة والبرشي (نخلة)» فتحكي قصة امرأة ورثت عن أبيها نخلة وكانت تتعالي على زوجها، وكانت كثيرة المن عليه بما ورثته عن أبيها. أما الحكاية الثالثة «الوصايا الأربع» فتتناول وصايا الأب لابنه، ومحاولة الابن التأكد من وصايا والده الأربع التي تكشف عنها الأحداث. أما الحكاية الرابعة «حلق الفضة» فتحكي قصة مدى حب الابن لأمه، وعرض نفسه للمخاطر في سبيل الانتقام من أحد اللصوص الذي سرق حلق فضة لأمه. أما الحكاية الخامسة «محمد وأخواه محمد ومحمد» فتدور الحكاية حول أب لديه ثلاثة أبناء من بينهم ابن غير شرعي، وعند وفاته أوصى بتوزيع الميراث على اثنين فقط، وعليهم البحث عن هو الابن غير الشرعي. أما الحكاية السادسة «الفقير» فتروي محاولات الفقير البحث عن الرزق فسرق من نصحه. أما الحكاية السابعة «خولة» فتروي قصة

١- إعلاء قيمة الإنجاب

يشغل موضوع عقم النساء حيزاً لا بأس به في الحكاية الشعبية العمانية، وهذا يعكس مدى أهمية الإنجاب في الأسرة العمانية قيمةً اجتماعية وثقافية مهمة سعياً للأسر الكبيرة الحجم لتدعم قوة القبيلة وسطوتها بين القبائل. وقد نوهت دراسة (الصباغ، ١٩٩٧) إلى أن هناك سمات ظاهرية كثيرة للشخصية النسائية في القصة الشعبية فضلاً عن حلي المرأة وزينتها، وصفت المرأة بأنها ولود أو عقيم، عليله أو صحيحة. ففي حكاية "بدور ونور الزمان"، يحكى أن هناك فتاة تسمى سلمى كانت تجلس تحت ظل شجرة خضراء كبيرة، وكانت تحتضن بين يديها دمية مصنوعة من سعف النخيل، وتتخيل نفسها عروساً ترتدي ثوباً أخضر جميلاً. وقد تحقق حلمها بالزواج ولكن لم ترزق بالأطفال. وكانت سلمى تستيقظ كل صباح لتجلب الماء من الوادي وبينما كانت في طريقها إلى الوادي، كانت تمر على جذع يابس فارغ الطول، فكانت تقول: "إن رزقي الله بفتاة فسوف أزوجه بهذا الجذع". وبعد طول انتظار رزقها الله بطفلة تضاهي البدر جمالاً وحسناً لذا أسمتها بدور. وكانت بدور ظلاً لأُمها، وعندما اشتد عودها عهد لها مهمة جلب الماء. فكانت بدور تذهب مع بنات الحي الذي تسكن فيه لجلب الماء، وبينما كانت الفتيات في طريقهن إلى الوادي، كان هناك صوت مجهول المصدر يقول: "يا بدر هذا الزمان، ويا زهرة الأرجوان، أن موعد الزفاف آن".

وفي اليوم التالي ذهبت الفتيات كالعادة لجلب الماء، وفي هذه المرة كانت بدور تسير في مقدمة الصف، فسمعن صوتاً ينادي مرة أخرى بنفس العبارة "يا بدر هذا الزمان، يا زهرة الرمان، أن موعد الزفاف آن"، حينها عرفن أن مصدر الصوت هو ذلك الجذع الفارع الطول بجوارهن، وعرفت بدور أنها المقصودة، وعندما وصلت إلى البيت بدأت تحكي قصتها لأُمها بصوت يملؤه الخوف ولكن رد فعل الأم كان غريباً، حيث قامت بتزيين ابنتها وألبستها أجمل الملابس حتى صارت كالقمر وعندما أسدل الليل ستاره، أخذ الأب والأم ابنتهما الوحيدة وعندما وصل الأب والأم وابنتهم إلى الجذع، تكلم الأب قائلاً للجذع هذه ابنتي ستكون لك زوجة وأوصيك بها خيراً، فانشق من ذلك الجذع باب خشبي مزين بنقوش ذهبية، فأدخل الأب ابنته من ذلك الباب، وعندما دخلت بدور فتحت عينيها لترى نفسها في غابة ذات جمال وروعة، ترامت في أطرافها أشجار خضراء، فمشت بدور في هذه الغابة حتى وصلت إلى قصر كبير، وعندما دخلته رأت شاباً وسيماً، فتكلمت معه وأخبرها أنه الأمير ابن حاكم هذه البلاد واسمه (نور

امرأة عقيم لجأت لحيلة حتى يرضى زوجها عنها، ولكنها رجعت عنها خوفاً من الله. أما الحكاية الثامنة «رحلة الصيد البائسة» فتحكي مصيبة حدثت لأسرة بفقد ابنها الوحيد بعد طوال انتظاره، وتنتهي بحكمة «لا يوجد بيت إلا ويضم بداخله مصيبة حدثت له». أما الحكاية التاسعة «الموز والمرجل» فتروي طرق أكاذيب وحيل النساء في محيط الجيرة في الريف (الحضر).

٢- حكايات خيالية

الحكايات الشعبية الخيالية هي ذلك النوع الذي يكثر فيه الخيال، وتغلب عليه الأسطورة، وتتكلم فيه الحيوانات. وشمل هذا النمط من الحكايات ثلاث حكايات شعبية مثل «الدلهمي وزوجته الشريرة» التي تحكي قصة دهاء وغيره النساء بالاستعانة بمكائد تتسم بالخيال. أما الحكاية الثانية «بدور ونور الزمان» فقصة حب غير طبيعية ربطت قلب الأمير بفتاة جميلة، وظهر لها على أنه جذع الشجرة. أما الحكاية الثالثة «قحيص» فتحكي قصة ابن معاق قصير القامة يمتلك قدرات غير طبيعية بين أخوته وينقذهم في مواقف عدة خلال أحداث الحكاية.

٣- حكايات السحر

الحكايات الشعبية حول السحر هي التي تتصف أحداثها بسيطرة القوى السحرية والقدرات الخارقة للطبيعة على موضوع الحكاية وطرق حلها. وقد شمل هذا النمط من الحكايات حكايتين هما (مريم وحصاة الصبر) و (الأفعى). أما الحكاية الأولى «مريم وحصاة الصبر» فتروي معاناة فتاة تحفظ القرآن مع معلمها المعتاد على القيام بأعمال سحرية، وانتصرت عليه بقوة إيمانها وبما تحفظه من القرآن. أما الحكاية الثانية «الأفعى»، فتروي تحايل زوجة الأب للتخلص من ابنة زوجها فنالت نصيبها من نوع العمل نفسه.

ثالثاً: تصنيف موضوعات الحكاية الشعبية

يتناول هذا المحور موضوعات (١٤) حكاية شعبية من التي جُمعت في بعض قرى محافظة الداخلية، مع مراعاة التنوع في موضوعاتها عند الاختيار. وشملت موضوعات الحكايات الشعبية المختارة ما يأتي: إعلاء قيمة الإنجاب، وكيد النساء، ونظرة المجتمع لبعض فئاته (الفقير، المعاق، ابن الزنا)، وطبيعة العلاقات داخل الأسرة، وبعض العادات والتقاليد والمعتقدات التي كشف عنها مضمون الحكاية الشعبية. وهذا ما سوف نتطرق إليه في السطور الآتية:

الزمان)، وقص لها حكايته مع الساحرة التي حولته إلى جذع يابس، ومنذ ذلك اليوم عاشت بدور بسعادة وكانت أميرة في ذلك القصر.

وهنا يكشف مضمون هذه الحكاية العديد من المعاني المهمة منها: الوفاء والإيمان بالقضاء والقدر فضلا عن إعلاء قيمة الإنجاب لدى المرأة، بحيث يصبح حلما تتوق إليه المرأة وفي سبيل تحقيقه يمكن أن تنذر نذرا غير ممكن التحقيق (أن لو أنجبت بنتا فسوف تزوجها من جذع شجرة)، وعندما رزقت طفلة جميلة وأصبحت فتاة أوفت الأم بالنذر دون تردد أو خوف ولم يمنعها زوجها، لضرورة الوفاء بالنذر (مبدأ شرعي). وخلال سرد الحكاية يصبح هذا الجذع أميرا كان مسحورا وتعيش الفتاة في سعادة. وهنا دلالة اجتماعية تبدو من خلال رغبة المرأة في الإنجاب لاستقرار حياتها الزوجية، ودلالة دينية تظهر في الوفاء بالنذر. ويتجلى الخيال الشعبي في قبول الأم أن تزوج ابنتها لجذع شجرة يابس وطويل (مواصفات ذكرت في الحكاية). وتعكس أيضا الحكاية نمط حياة أهل الريف، حيث تجلب النساء المياه من الوادي.

أما حكاية «الأفعى»: فيحكى أن هناك رجلا متوترا ينتظر مولوداً وفجأة قطع توتره صوت بكاء صغير، ثم أطلق قدميه لعنان الرياح شوقاً لمعرفة جنس المولود أهو ذكر أم أنثى، ثم خرجت المرأة التي كانت تقوم بتوليد زوجته وهي منكسة رأسها قالت له: (أبشر إنها أنثى). حينها صمت لبرهة من الزمن، ثم أرفد قائلاً: (الحمد لله على كل شيء). وهنا تكشف حكاية «الأفعى» الفرحة بالإنجاب عموماً، ومدى الاختلاف بفرحة الإنجاب حسب جنس المولد ذكراً أو أنثى، وهذا يبدو من تعليق المرأة «إنها أنثى» وأشارت تفاصيل الحكاية إلى نمط حياة أهل البادية. وهنا دلالة اجتماعية وثقافية على إعلاء قيمة الإنجاب وبخاصة إنجاب الذكور، باعتبارهم عماد اقتصاد الأسرة البدوية.

٢- كيد النساء

شغلت النساء مكانة واضحة في الحكاية الشعبية سواء كانت شابة أو عجوزاً، وبرزت من خلال موضوعات عدة تعكس واقع الحياة الاجتماعية في البيئة العمانية، بخاصة في سياق الوحدة المعيشية، وسجلت بعض أشكال المعاناة والمكاييد؛ بسبب الغيرة بين الزوجات أو بين الزوجة وأخت الزوج تمتد إلى ابنته اليتيمة الأم.

ففي حكاية «الديلهمي وزوجته الشريرة» كشفت عن مدى الارتباط بين أخ وأخته بعد فقدان والديهما وشدة تعلق الأخ

بأخته، مما سبب غيرة زوجة الأخ من أخته وتدبير مكيدة لها باتهامها بالزنا للتخلص منها ليخلو وجه زوجها لها. ففي أحد الأيام أثناء غياب زوجها أجبرت أخته أن تشرب قشدة ساخنة أو بيضا نيئاً، واضطرت الأخت لشرب البيض بديلاً عن الموت من شرب القشدة الساخنة. وتجلّى الخيال الشعبي في أن تحمل الفتاة بمجرد شرب البيض النيئ، فقس البيض في بطنها «طيورا» بمجرد جلوسها تحت أشعة الشمس ومناداة الطيور للأخ «يا خال»، واتهمت بالزنا وتؤكد كلام زوجة الأخ، وحاول الأخ التخلص من أخته جراء وقية زوجته، ولكن أحداث الحكاية تبرئها. وهنا تعكس الحكاية دلالة اجتماعية مهمة حول مدى الارتباط بين الإخوة، وغيرة الزوجة جراء ذلك رغم أنها ليست هناك امرأة أخرى في حياة زوجها، بل أخته، مما جعلها تدبر مكيدة من نسج الخيال الشعبي.

وهناك حكاية أخرى تكشف عن رغبة المرأة في معايير زوجها بما ورثته عن أبيها. ففي حكاية «المرأة والبرشي» وهذه الحكاية تدور أحداثها في إحدى القرى، تبين الفكرة الأساسية للحكاية معايير الزوجة لزوجها ومنها عليه بما ورثته عن أبيها، ومدى تأثير ذلك في تكدير الحياة الزوجية بينهما في مواقف عدة من الحكاية. ورغم ذلك تحمل الزوج وحاول عدة مرات ثني زوجته عن المعايير وفشل. ففي أوقات القيظ وجني الرطب تزداد معايير الزوجة، وخلال جلسات النسوة وتناول القهوة- من العادات الأصيلة في الثقافة العمانية- تتباهى بما ورثته عن أبيها، ودائماً ما تذكر فضل أبيها على أسرته فتصل إلى حد المعايير. ورغم ذلك نجد الزوج عاقلاً ومتديناً لا يلجأ لأذية زوجته رغم تعبيرها له. وهنا دلالة اجتماعية تظهر نوعاً من النساء كثيرات المن على أزواجهن ومدى تحمل الزوج، فضلاً عن دلالة دينية في تحمل الزوج لزوجته ومحاولته ثنيها عن هذا الفعل، وعندما يضيق به الحال يلجأ إلى الله بقوله لا حول ولا قوة إلا بالله يوم ورثت هذا البرشي (النخلة).

أما في حكاية «الأفعى»- في بعض تفاصيلها الأخرى- فيحكى أن هناك طفلة ولدت يتيمة ولم تر قط نور وجه أمها، ومما زاد الأمر سوءاً أن والدها كان كثير السفر والترحال؛ بسبب عمله في التجارة، ولكن أراد أن يعوضها دفء حنان الأم؛ فتزوج بامرأة أخرى، وكانت تلك العمّة عندما يكون الأب موجوداً في المنزل تتقمص دور الأم الحنون، وعندما يخرج الأب من المنزل تذيب تلك الطفلة البريئة أشد ألوان العذاب، حتى أصبحت كالخادمة في المنزل، ودائماً ما كانت تلك العمّة الشريرة تحطّ للتخلص من هذه الفتاة،

تتفجر العمة من شدة الغضب والحقد. وبعد ذلك ذهبت إلى والد الفتاة وأمرته أن يذهب إلى الغابة ويحضر لها أفعى كبيرة، ففعل الرجل ما طلبته، وعندما أحضر الأفعى قامت بإدخال ابنتها الكبرى والأفعى في غرفة واحدة، وعندما بدأت البنت بالصراخ كانت العمة تتأدي وتقول «صوغ وزيد... صوغ وزيد»، بعدها انصرفت العمة وفي اليوم التالي استيقظت في الصباح الباكر، على أمل أن ترى ابنتها عروسا بكامل زينتها، ولكنها فوجئت حين رأت ابنتها جثة هامدة، ولم يمهلها الثعبان في الهرب بل هجم عليها.

ففي حكاية «الأفعى» نجد نمط حياة أهل البادية وجمع الحطب وأنواعه. ويكشف مضمونها عن وضع البنت يتيمة الأم بعد زواج والدها، ومعاناتها من زوجة الأب، ومعاملتها كأنها خادمة والرغبة في التخلص منها. حيث كانت تجبرها على الذهاب إلى الغابة والبحث عن أنواع حطب غير موجود، وتسير أحداث الحكاية وتدبر زوجة الأب مكيدة للتخلص منها بتزويجها لأفعى، ولكنه كان أميراً مسحوراً، وارتد السحر على الساحر ولم تؤذ الفتاة بل عاشت في سعادة وكان الأذى من نصيب ابنتها. وهنا دلالة ثقافية تتعلق بالاعتقاد بالسحر، ودوره في نصرة المظلوم من وجهة نظر بطل الحكاية، فخلال أحداث الحكاية تم الاستعانة بالسحر لحل المشكلات والمكائد.

أما في الحكاية «الموز والمرجل»: فيحكى أنه في قديم الزمان كانت في القرية جارتان، وكانتا شديديتي التقارب؛ ولكن تزداد الفتان بينهما، فلم تزر الجارة الأولى جارتها الأخرى إلا بعد سبعة أيام، فسألته عن سبب غيابها فأخبرتها أنها كانت عند أبيها ضيفة، كانت تغسل المرجل، فتعجبت الجارة هل غسل المرجل يستغرق سبعة أيام؟ فقالت: إن مرجل أبي كان ضخماً يصفره سبعة وسبعون صفاراً، وكل صفار له مطرقة لا يسمع مطرقة الآخر، وبعدها أرادت الجارة الأخرى أن تعيد لها الكرة، فغابت عنها سبعة أيام، وبعدها ذهبت لزيارتها، فسألته عن سبب غيابها فأخبرتها أنه كان مع أبيها مزرعة موز فكانت تجني الموز مع أبيها، فاستغربت الجارة هل جني مزرعة الموز يحتاج إلى كل هذه المدة؟ فسألته وأخبرتها أن ضخامة المزرعة مثل القرية الكبيرة، وكل موزة كانت مثل المنارة.

تعكس هذه الحكاية نمط حياة أهل الريف، وانتشار مزارع الموز، وتجسد سباق الفتان بين النساء في محيط الجيرة، ومن أهم مظاهره حب التفاخر والمباهاة بالأهل، حتى لو لجأت النساء إلى الكذب والخداع، وكان أكثر شيء يمكن أن تتباهى به، كبر حجم مراحل الطبخ التي قد تستغرق في تنظيفها أسبوعاً كاملاً، أو كبر حجم مزرعة الموز الخاصة

وفي يوم من الأيام بينما كانت الفتاة تعد الحبال لتجلب الحطب نادتها عمتها قائلة لها: «جيبيلي حطب لا رطب ولا يابس لا من الظل ولا من الشمس وإذا رجعتي غيره ما شي مكان تباتي فيه».

ومضت تلك الفتاة المسكينة بصحبة رفيقاتها لجلب الحطب، وكانت تفكر من أين لها بهذا الحطب الذي طلبته العمة، فكل رفيقاتها اللواتي رافقنها انتهين من جمع الحطب في وقت قصير، بينما ظلت هي تبحث عن الحطب لعلها تجد ما طلبته العمة (زوجة الأب)، وحل الظلام وهي لا تزال وحيدة في ذلك المكان الموحش، عندها أخذت تبكي بحرقة شديدة، وفجأة أحست بيد حانية تمسح على رأسها، وعندما رفعت رأسها وجدت شاباً وسيماً يسألها عن سبب بكائها ووجودها في ذلك المكان وحيدة، فأخبرته بقصتها مع عمتها فقال لها: أنا سأتكفل بجمع الحطب، وبعد ما انتهى من جمع الحطب اصطحبها إلى منزلها، وفي الطريق إلى البيت حكى لها قصته فقد كان أميراً مسحوراً لأنه كان متسلطاً وتعرض لأذى ساحرة فحولته إلى ثعبان إلا أنه بمساعدته لها حرر من السحر.

وعندما وصل بالقرب من المنزل سألها «أخبرتني أن عمك تريد الخلاص منك أليس كذلك؟» أجابت الفتاة: بلى، فأردف قائلاً لها: أنا عندي خطة سوف تخلصك من عمك الشريرة، سأتحول أنا إلى ثعبان، وسألتف حول هذا الحطب وعندما تعودين إلى المنزل ناولي عمك الحطب. وعندما دخلت إلى المنزل قامت بإعطاء عمها ذلك الحطب المصقول، فأخذت العمة تتفحص الحطب حطبة حطبة، وفجأة قفز ثعبان كبير من بين الحطب فبدأت العمة تصرخ «غول غول تعالوا اقتلوه» ولكن سرعان ما هرب الثعبان إلى سقف الغرفة، وعندها تكلم الثعبان قائلاً: «أنا أريد أن أتزوج ابنتكم وإن لم تزوجوني إياها فسوف أسعكم جميعاً وستموتون»، حينها انفجرت أسارير العمة وأيقنت أن هذا هو السبيل للخلاص من تلك الفتاة، عندها قامت بإقناع الأب بتزويج ابنته لهذه الأفعى، لكن الأب عارض بشدة في البداية، ومع إصرار زوجته وافق وعندما أدخل الأفعى الفتاة داخل تلك الغرفة، فاضت عينا والدها بالدمع حسرة على ابنته، وبعد فترة سمع ابنته تصرخ داخل الغرفة، وكان الأب يردد: «صوغ وزيد... صوغ وزيد»، والعمة تصرخ «لدغ وزيد... لدغ وزيد».

وفي الصباح استيقظت العمة متلهفة لرؤية جثة تلك الفتاة، ولكنها عندما فتحت الباب فوجئت برؤية تلك الفتاة وقد تزينت بأجمل الملابس وتصوغت بأنفوس الحلي من أخصص قديمها حتى قمة رأسها، وجوارها شاب وسيم، عندها كادت

بوالدها، بحيث يستغرق جني الموز أسبوعاً كاملاً، وهذا دلالة على حجم ثراء الأسرة.

٣- نظرة المجتمع لبعض فئاته

ركزت بعض الحكايات المختارة على نظرة المجتمع العماني تجاه بعض فئاته منها الرجل الفقير، وابن الزنا، والطفل المعاق. وهذا ما نتطرق إليه في السطور الآتية:

أ- نظرة المجتمع للرجل الفقير:

ففي حكاية «الفقير»: يحكى أنه كان هناك رجل فقير لا يملك من القوت لإطعام أولاده فذهب إلى شيخ القرية حتى يساعده على الحصول على القوت، ولكن ردة فعل الشيخ كانت غير متوقعة حيث قال للرجل الفقير «اكشف عن زندق» وتعجب الرجل الفقير من ذلك، وأخبره أنك رجل، والرجل إذا احتاج شيئاً فليحتل، فأدرك الرجل الفقير أنه لا جدوى لتحقيق طلبه. وجلس يفكر في ما يمكنه فعله حتى يحصل على القوت، وفجأة تذكر أن الشيخ قد دفن نقوده في مكان ما تحت الشجرة، فذهب إلى ذلك المكان فأخذ من النقود ما يسد حاجته، ولكن شيخ القرية عرف أن أحداً ما سرق من النقود. وبعد مدة من الزمن نفذت النقود التي كانت بحوزة الرجل الفقير، فقرر أن يذهب مرة أخرى إلى المكان الذي خبأ فيه شيخ القرية نقوده إلا أن الشيخ كان قد وضع فخاً بالقرب من المكان حتى إذا جاء السارق مرة أخرى يسقط في تلك الحفرة العميقة حينها سوف يُعرف السارق، وسيعاقب. وعندما همّ الرجل الفقير بالخروج من المنزل سأله ابنه إلى أين تريد الذهاب؟ فأخبره بمكان خروجه، ورفض مصاحبة ابنه، ثم وافق تحت ضغط لمرافقته لسرقة النقود.

وفي طريقهم للوصول إلى المكان سقط الابن في الفخ، وحاول الأب بقوة إخراج ابنه، ولكن محاولته باءت بالفشل فاقترح الابن على أبيه قطع رأسه، فإذا كانت الجثة بلا رأس فلن يستطيع أهل القرية التعرف إلى صاحبها، ولكن في البداية رفض الأب، وخوفاً من أن يفتضح أمره قطع رأس ابنه وخبأ الرأس في كيس أسود، وأخذه معه إلى المنزل. ومع شروق الشمس ذهب شيخ القرية إلى المكان ليرى السارق، ولكنه تفاجأ عندما رأى أن الجثة بلا رأس، عندها ثار غضب الشيخ، فأمر جنوده أن يقوموا بأخذ الجثة، ويمروا بها بين بيوت القرية حتى يتعرفوا إليها، وعندما وصلوا بها أمام منزل الفقير، فضلت الأم الصمت خوفاً من أن يكتشف أمرهم.

وفي يوم من الأيام أشار أحد الرجال أن لديه ناقة اسمها (الناقة الإنسية) تستطيع معرفة السارق بأن تبرك أمام

منزله حينها سوف يعرفون السارق، وعندما استيقظ الرجل الفقير في الليل تفاجأ بوجود ناقة أمام منزله، فقادها، وجعلها تبرك أمام كل منزل في القرية ثم قام بأخذها إلى المنزل، وقام بذبحها، وعندما أشرقت الشمس وجد الشيخ أن أثر الناقة أمام كل منزل في القرية، حاول البحث عن الناقة فلم يجدها. ثم لجأ الشيخ إلى إرسال امرأة عجوز تذهب إلى كل بيت في القرية لتطلب بعضاً من اللحم، وعندما وصلت المرأة إلى بيت الرجل الفقير سألت العجوز زوجها أن تعطيها بعضاً من اللحم والشحم، فقامت زوجة الفقير بإعطائها كمية كبيرة من اللحم والشحم حينها عرفت تلك العجوز أن هؤلاء هم الذين قاموا بسرقة نقود الشيخ وذبح الناقة الإنسية. وعندما همت العجوز بالخروج من المنزل دخل الرجل الفقير عليها وسألها من أين لك هذا؟ فأجابت: العجوز بأن زوجتك هي التي أعطتني هذا فقام الرجل الفقير بأخذ كيس اللحم من يدها، وحبسها في منزله حتى لا يفتضح أمره بين الناس.

وقام شيخ القرية بالبحث عن تلك المرأة لمدة طويلة، ولكنه لم يجدها، فذهب إلى السوق وأخذ ينادي بين الناس أنه إذا اعترف السارق فلن يعاقب، وأيضا سيقوم شيخ القرية بتزويج ابنته لهذا الرجل، حينها اعترف الرجل الفقير للشيخ أنه هو من قام بسرقة النقود، وذبح الناقة الإنسية، وأرذف الرجل الفقير قائلاً للشيخ: أنت الذي أرغمتني على فعل ذلك، حين طلبت منك المساعدة في بداية الأمر ورفضت.

هذه الحكاية تعكس نمط حياة أهل الريف، ودور شيخ القرية في توجيه النصائح لأهل قريته. ويكشف الخيال الشعبي أن بعض الإبل لديها حاسة تكشف المكائد، يطلق عليها «الإبل الإنسية». ويكشف مضمون الحكاية عن نظرة المجتمع للفقير بأنه عديم الحيلة، ويشير أيضاً إلى أنه لا يوجد فقر ولكن يوجد عدم حيلة، فلا بد أن يحتال الفقير لكي يكسب قوت يومه. وتشير أحداث الحكاية إلى كيفية استفادة الفقير من نصيحة الشيخ له بأن يحتال لكسب قوت يومه له ولأسرته، وقام بسرقة أموال الشيخ الذي نصحه، وقد استخدم العديد من الحيل لعدم اكتشاف أمر سرقة. وهنا تبدو نظرة المجتمع للفقير بأنه عديم الحيلة، وتكشف الحكاية عن حكمة مستوحاة من أحداثها هي، اتق شر من أحسنت إليه.

ب- نظرة المجتمع للشخص من ذوي الإعاقة

وفي حكاية «قحيص» يحكى أن رجلاً اسمه صالح كان يمتلك أربع زوجات يعدل فيما بينهن لم يرزق منهن بطفل. ففي يوم من الأيام ذهب صالح إلى المجلس الذي يتجمع فيه أهل القرية، سأله أحد الحاضرين عن عدد

وتابعوا رحلتهم حتى اعترض طريقهم واد مليء بالعقارب، وحاولوا جاهدين عبور هذا الوادي، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، فأخذوا ينادونه «أوه قحيص تعال، أوه قحيص تعال»، وما كادوا ينهون صراخهم حتى وجدوا قحيصاً أمامهم يركب شاته، ونزل ببطن الوادي يقول: «شاتي قتلي، وأنا أقتل، شاتي قتلي، وأنا أقتل»، فلم يروا عقرباً واحداً، وعبروا الوادي، بعدها طلبوا منه أن يعود إلى المنزل، ورجاهم مرة أخرى أن يرافقهم. وتابعوا سيرهم فاعترض طريقهم وادٍ غزير، حينها لم تستطع خيولهم أن تعبر هذا الوادي فنادوا على قحيص، فأرأه بالقرب من الوادي هو وشاته الهزيلة وهو يقول: «شاتي شربي، وأنا أشرب، شاتي شربي، وأنا أشرب»، فلم يتبق في الوادي قطرة ماء واحدة، فعبروا الوادي، بعدها طلبوا من قحيص أن يتابع المسير معهم إلى بيت الجدة حتى وصلوا.

وبتتبع أحداث حكاية «قحيص» نجد أن هناك ابناً كان منذ ولادته ضئيل الجسم، بطيء النمو، أي قزماً، أطلق عليه قحيص. وقد تعرض إثر ذلك للسخرية من أخوته، وخجلهم من اصطحابه معهم، مما جعلهم يطلقون عليه هذا الاسم. وكالعادة في الخيال الشعبي، فإن ذلك لا بد له من مرد ما، وهو أن الزوجة تناولت نصف الرمانه وأعطت زوجها نصفها الآخر، وكان ذلك سبباً في ولادة طفل معاق. ولكن هناك حوادث مرت بقحيص أثبتت من خلالها تفوقه وجدارته على إخوته. فقد أنقذ إخوته من الهلاك في رحلة طويلة إلى بلدة جدتهم البعيدة. وهنا دلالة اجتماعية في النظر للابن من ذوي الإعاقة أنه لا يختلف عن إخوته الأسوياء بل قد يتفوق عليهم باستعمال قدراته وشجاعته، وتعكس أيضاً الحكاية مدى قدراته وذكائه الموجه لخدمة إخوته، ومدى تفوقه على الإخوة الأسوياء، نتيجة تفكيره الصائب في مواقف عديدة. وهذا ما أكدته دراسة (السيد، ١٩٩٦) حيث أشارت إلى أن للحكاية الشعبية دوراً في تكوين وإرساء بعض المفاهيم الحياتية الأساسية في مرحلة الطفولة بل مساعدة الطفل على مواجهتها والتعامل معها.

جـ نظرة المجتمع من خلال حكاية الوصايا الأربع

فهناك حكايتان في هذا الصدد، الحكاية الأولى «الوصايا الأربع»: يحكى أنه كان هناك شخص أوصى ابنه قبل وفاته بأربع وصايا، فقال له: يا بني لا تزرع في واد، ولا تصاحب بدويًا، ولا تعط سرك لأمراتك، ولا تهرب ابن الزنا. وأراد الابن تجريب الوصايا بعد وفاة أبيه، فذهب إلى الوادي وزرع فيه، ومرت الأيام، وهبط الوادي فدمر الزرع، فتأكد الابن من صحة الوصية الأولى. وكان لديه

أولاده فأجاب: «الحمد لله أمتلك أربع زوجات ونأمل من الله عز وجل أن يرزقنا منهن بالذرية الصالحة»، وكان من بين الحضور شيخ عرف بالحكمة، فاقترح على صالح أن يقوم بإعطاء كل زوجة من زوجاته «رمانه» وفي طريقه للعودة إلى المنزل اشترى صالح أربع رمانات، أعطى كل زوجة من زوجاته رمانه، فأكلت ثلاثة من الزوجات، كل واحدة منهن، رمانه بأكملها، أما الزوجة الرابعة فقد أبت إلا أن يأكل زوجها نصف الرمانه، وبعد مدة من الزمن وهب الله صالحاً من كل زوجة طفلاً فكان كل الأطفال أصحاب الجسم إلا الطفل الذي أنجبته الزوجة الرابعة، فقد كان ضعيف الجسد قصير القامة سمي بقحيص.

وعندما كبر الأطفال كانوا يخلون من اصطحاب أخيهم قحيص، وكانوا يستخفون بقدراته، وفي يوم من الأيام قرر الإخوة الثلاث أن يذهبوا إلى الصيد، وكان قحيص مختبئاً يسمع ما يدور بينهم من حوار، حينها سألهم أن يرافقهم فرفضوا في بداية الأمر، وقالوا له «اذهب ولازم حزن أمك، لا مجال للعب هناك فأنت لا تستطيع أن تصيد ذبابة فكيف ستصيد طيراً»، ثم أصر على الذهاب معهم، فوافقوا. وعندما وصلوا إلى مكان الصيد تفرق كل واحد منهم عن الآخر بحثاً عن الطيور، فاصطاد قحيص عدداً من الطيور فعاد إلى البيت ترتسم ابتسامة النصر على وجهه، في حين تأخر إخوته في العودة إلى المنزل، وعندما سألهم أبوهم عن سبب تأخرهم قالوا: طهي صيدهم، إلا أن صوت بطونهم قد فضح أمرهم. ورغم ذلك كانوا يحاولون إقناع بعضهم بأن ما حدث كان مجرد صدفة بسبب غيرتهم منه.

وذات مرة قرروا أن يذهبوا لزيارة جدتهم بالقرية المجاورة، فأخذوا يخططون فيما بينهم لهذه الزيارة من دون علم قحيص، ولكنه سمع ما دار بينهم من حوار من غير أن يشعروا به، فسألهم أن يرافقهم لأن الطريق محفوفة بالمخاطر وأنهم سيحتاجون مساعدته، ولكنهم لم يعيروه اهتماماً، بعدها قام الإخوة الثلاثة بإعداد عدة السفر، وامتطوا خيولهم، وتقدموا بينما قحيص لم يكن يملك فرساً، ولكنه امتطى شاته الهزيلة النحيلة فشد الرحال يتابع أثر حوافر الخيول التي غاصت في التراب، فاعترض الإخوة عدد كبير من الذئاب المفترسة، بعدها سمع قحيص إخوته ينادون: «أوه قحيص تعال، أوه قحيص تعال»، وما كادوا ينتهون من صراخهم حتى رأوا قحيصاً منتظياً شاته الهزيلة التي تسير بسرعة البرق، وعندما وصل إليهم رمى قطعة لحم بعيداً فذهبت الذئاب لتأكلها، حينها مر الإخوة الثلاثة بسلام، بعدها أمروه بالعودة إلى المنزل، ورجاهم أن يأخذوه معهم، وأنهم سيحتاجون إليه، ولكنهم رفضوا فتظاهر بالعودة.

صيتهم بقدرتهم على تقصي الأثر توفيت امرأته، وكان لديه ثلاثة أبناء كل منهم يدعى (محمد)، كتب وصية لأبنائه الثلاثة، ذكر فيها أن لديه ابنين فقط، أما الابن الثالث فهو ابن لقيط، ولكنه قام بتربيته واعتبره ابنه دون علم أبنائه. وعندما توفي الأب سعى الأبناء إلى تنفيذ الوصية، لكنهم لم يستطيعوا تمييز الابن غير الشرعي، فاتفقوا فيما بينهم أن يذهبوا إلى ملك البلاد ويحتكموا لديه. وفي طريقهم إلى الملك وجد الابن الأول آثار جمل فتبعها حتى انتهت تلك الآثار إلى شجرة أحد جانبيها أكل منه، والجانب الآخر لم يؤكل منه. أما الابن الثاني فقد وجد فضلات جمل مكومة على بعضها وغير مبعثره، فاستنكر الأمر لأن هذا ليس من طباع الجمال. في حين أن الابن الثالث وجد آثار خطوات جمل كانت متقاربه جدا من بعضها.

وأكمل الأبناء الثلاثة مسيرتهم، وفي الطريق التقى بهم رجل يبحث عن جملة الضائع، فسأل عن جملة وشك بأن أحدا منهم سرقه، وسألهم عن وجهتهم وطلب مرافقتهم حتى يصل إلى الملك لاسترداد جملة. وعندما وصلوا إلى قصر الملك، وحكوا له قصتهم، وقام الرجل، وأخبر الملك بشك في سرقتهم لجملة، وعندما سأله عن سبب شكه فيهم، أخبره بالحوار الذي دار بينه وبين كل من الأبناء الثلاثة. فسألهم الملك عن ذلك، فنفى الأبناء ذلك الاتهام، وكالعادة يُضَيَّفُ الملك ضيوفه، فقد أمر بتقديم الطعام للأبناء الثلاثة، وأمر أحد رجاله بأن يشاركهم المجلس حتى يدون كل ما يقوله الأبناء خلسة. وبينما هو بينهم قال الابن الأول: إن الشاة المذبوحة رضعت من أنثى كلب، بينما قال الابن الثاني: إن القمح الذي صنع منه الخبز قد نما في أرض كانت في الأصل مقبرة. أما الابن الثالث قال: إن الملك ولد غبن أي ابن غير شرعي.

وأخبر الخادم الملك بالحديث الذي جرى بينهم أثناء تناول الطعام، وغضب الملك غضبا شديدا، وذهب إلى والدته ليتأكد من صدق كلام أبناء بني عراف، وأجبرها على قول الصدق لأن بني عراف لا يخطئون في حكمهم. واعترفت له الأم بحقيقة نسبه وأنها اقترفت ذلك الخطأ حتى لا يضيع ملك أبيه. فاستاء الملك ولكنه أراد أن يقطع الشك باليقين فأمر رجاله بأن يتأكدوا من أصل الشاة وأصل القمح الذي صنع منه الخبز، وصدق أبناء العراف. ولكن تعجب الملك من معرفة أحدهم أنه ولد غير شرعي، وسألهم من عرف أني ولد غبن، قال أحدهم نعم أنا، من دون خوف، فقال الملك إذن أنت ولد غبن «ما⁽⁴⁾ يعرف ولد غبن غير ولد غبن مثله».

تكشف هذه الحكاية نمط حياة أهل البادية، وانتشار مهنة

صديق بدوي يكثر من زيارته، وفي يوم من الأيام أراد الابن اختبار هذا الصديق، فجاء له بحيلة وقال: إني قتلت رجلا، وأخاف من الوالي كشف الحقيقة، وأريد إخفاء الجثة في بيتك، فتبرأ البدوي من صحبة الابن خوفا من التهمة، ومن ثم تأكد من صحة الوصية الثانية. وفي مرة من المرات عندما كان الرجل مارا في الطريق رأى طفلا مُلقَى على قارعة الطريق فأخذه ليربيه، وكبر الابن وعمل مع والي البلاد.

وفي أحد الأيام ذهب الرجل إلى مزرعته فشاهد شاة الوالي تأكل من زرعه فاحتفظ بها، فذهب إلى الجزار ليشتري لحما، وأخذ إلى زوجته وتذكر وصايا أبيه، فقال لها: إني وجدت شاة الوالي تأكل من زرعي فذبحتها وهاك لحمها، ولكن احفظي سري لكي لا يقطع الوالي رأسي. فأخذ الوالي يبحث عن شاته، وكانت لديه خادمة عجوز، قالت له: أنا أتيك بخبرها. فذهبت العجوز تبحث عنها في بيوت الحي، فذهبت إلى بيت الرجل فأقشقت المرأة سر زوجها عن شاة الوالي، فأرسل الوالي حارسه ليأتي بالرجل لمعاقبته، فأكرم الرجل الحارس، وأخبر الوالي بأنه لم يجده في منزله، فتقدم ابن الرجل الذي يعمل مع الوالي وقال: أنا أتيك به طوعا أو كرها، فذهب إلى أبيه وأخبره بأن الوالي يريد سؤاله في ذبح شاته، وإن لم يأت سحبه من لحيته، فذهب الرجل طوعا للوالي واتهمه بذبح شاته، فطلب الرجل الحجة والدليل، فأخبره الوالي بأن امرأته هي التي باحت لخادمتها بقصة ذبح الشاة، حينها تأكد الرجل من صحة الوصية الثالثة والرابعة بأن المرأة لا تؤتمن على سر، وأنه من المستحيل أن يكون ابن الزنا وفيها ومخلصا، فأرجع الرجل الشاة وأخبر الوالي بقصة الوصايا الأربع فعفا عنه الوالي وسامحه.

هذه الحكاية تدور أحداثها في بيئة ريفية، وتحذر من الزراعة في الوادي ومخاطرها عند سقوط الأمطار، وجريان الوادي، وهلاك الزرع والبشر أحيانا. والوالي هنا حاكم المنطقة. وقد أشارت حكاية «الوصايا الأربع» إلى فكرة أساسية وهي ضرورة طاعة الوالدين، بخاصة إذا أتت على هيئة وصايا لا بد من التزام الأبناء بها. وهنا برزت أهمية ومكانة وصايا الأب من نفس ابنه باعتبارها نتاج تجربة وخبرة عملية في الحياة. ونستخلص من هذه الحكاية العديد من الدلالات الاجتماعية مثل: احترام الوالدين، والرغبة في المعرفة واكتساب الخبرة من خلال التأكد من مصداقية الوصايا الأربع. وهناك دلالة دينية تبدو في طاعة الوالدين عن بيعة.

أما الحكاية الثانية هي «محمد وأخواه محمد ومحمد»: فيحكي أن هناك رجلا من قبيلة بني عراف الذين شاع

يرى ما تفعله ابنتاه، وحين يكتشف الأذى يعاقب الثلاث من دون تمييز، ولكن كان نصيب كل منهن حسب ما اقترفت يداها، فتزوجت الأولى بائع بصل، والثانية بائع سمك، والصغرى من فارس.

ب- حب الابن لأمه

في حكاية «حلق فضة»: يحكى أنه في قديم الزمان كانت هناك امرأة تنتمي إلى عائلة ذات سمعة من بني عراف الذين يستطيعون تتبع آثار العدو، وكان لديها ابن شهيم شجاع شديد الغيرة عليها ويهابه العدو، وقد اعتادت الأم على ارتداء حلي فضة. وفي يوم من الأيام ذهبت الأم مع نساء القرية كالمعتاد لجلب الماء من الوادي، وبينما كانت النساء ذاهبات باتجاه الوادي، صادفهن جيش العدو فهاجمهن على حين غرة، وقام أحدهم بانتزاع قرطي الفضة من أذني الأم. وعندما عادت إلى البيت أخبرت ابنها بما جرى لها من أحداث في الطريق. فغضب الابن غضبا شديدا وقرر الانتقام من السارق. حينها قال: حرمت علي امرأتي إذا لم انتقم لأمي بقطع أذن إحدى نساء العدو. وعندما علم العدو بما قاله الابن أعد عدته من الجيش والعناد للتصدي له. فتقصى الابن آثار السارق وتوصل إلى مخبأ العدو، فهدد الابن اللصوص بقطع آذان جميع زوجاتهم إن لم يعترفوا من هو السارق، فخافوا على زوجاتهم وأشاروا إلى السارق. بعدها قام الابن بقطع أذني زوجة اللص بما فيها من حلي، فخاف العدو من مواجهته وقرروا الانسحاب.

تدور أحداث هذه الحكاية في إحدى القرى، وانتشار حرفة تقصي الأثر (العراف)، وأهمية الحلي الفضة في زينة النساء في عمان قديما. تجسد الحكاية قيمة حب الابن لأمه وشجاعته في الدفاع عنها مهما تعرض لمخاطر، لأن حب الأم لا يعادله حب في الحياة. ويخوض الابن الصعاب من خلال مواقف الحكاية لينتقم من سرقة حلي أمه بكل شجاعة. وهنا تعلي الرواية من قيمة الحب خاصة الذي يربط الابن بأمه. وهذا تأكيد لحب الأم الذي أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ج- خصام الزوجة لزوجها

في حكاية «المرأة والبرشي» بشكل مفصل: يحكى أن هناك امرأة ورثت من أبيها نخلة (برشي)، وفي يوم من أيام القيظ (الصيف الحار وقت جني ثمار النخل) جنى الزوج القليل من رطب النخلة، فعندما جلس بعضهم مع بعض، وأكلت المرأة من الرطب، تنهدت قائلة: «ما أحلى رطب هذه النخلة التي ورثتها من أبي»، ومرت الأيام،

اقتفاء الأثر (العراف) والفراسة. وتعكس بوضوح نظرة المجتمع لابن الزنا، وواجب المجتمع تجاهه الاهتمام والتربية إلا أنه لا يرث من قام بتربيته مثل أبنائه الشرعيين، وهذا حكم شرعي في الإسلام. ففي الحكاية هناك ثلاثة أبناء من بينهم ابن غير شرعي غير معروف بينهم، لا بد من معرفته لاستبعاده من إرث أبيه. ومن خلال مواقف متعددة تعتمد على الفراسة أكثر من الحقائق، تم معرفة من هو الابن غير الشرعي.

٤- طبيعة العلاقات بين أفراد الأسرة

تشير بعض الدراسات إلى أن الحكاية الشعبية ضرورة لحيوية واستمرارية العادات والقيم الثقافية، من خلال ما تتضمنه من مضامين اجتماعية (عقيل، ٢٠٠٨)، بخاصة ما يرتبط منها بطبيعة العلاقات بين أفراد الأسرة في سياق الوحدة المعيشية، منها حب الابنة لأبيها، وحب الابن لأمه، ومعايرة الزوجة لزوجها، وطاعة الوالدين. وهذا ما سنبينه فيما يأتي:

أ- حب البنت الصغرى لأبيها

في حكاية «الرجل الأعمى وبناته الثلاث»: يحكى أن إمام مسجد القرية كان أعمى لديه ثلاث بنات، وكانت الأختان الكبرى والوسطى حادتي الطباع، في حين كانت الصغرى عطفاً والقربى إلى قلب أبيها، وكانت الأختان تكثران من وضع الثوم والبصل في طعام الأب، وكثيرا ما نهبت الصغرى أختيها على ذلك، إلا أن الأب كان يرد عليها «أكل خواتش كله حلو». وكان المصلون ينفرون منه، فغضب الإمام، وقرر معاقبة بناته فطلب منهن أن يتبعنه لجني النبق، غير أن الأب كان قد نصب فخا لبناته تحت السدرة، مغطى بالحصير، وما إن بدأت الأخوات بضرب السدرة، حتى تساقط النبق، وتسارعت الأخوات لالتقاطه، فسقطت الأخوات الثلاث في الحفرة، وعاد الرجل الأعمى إلى المنزل. ظلت الأخوات في الحفرة يوما بأكمله، ومر عليهن بائع بصل طلبت منه الأخت الأولى إخراجها من الحفرة فوافق بشرط الزواج منه فوافقت. ثم مر بائع السمك وطلبت منه الثانية إنقاذها واشترط عليها الزواج فوافقت. ومن ثم كان نصيب الأولى بائع البصل، والثانية بائع السمك، بينما كان نصيب الأخت الصغرى فارسا بجواد.

تروى أحداث هذه الحكاية في قرية حيث شجر السدر المعروف في عمان، ويكشف مضمون الحكاية نمط شخصية الأخت الصغرى المحبة لوالدها التي تحاول إبعاد أذى أختيها عنه، ولكنه لا يعبأ بنصائحها لكونه أعمى ولا

تجد هناك من يرعاها، ويهتم بصحتها، ولكي لا تعطل زوجها عن عمله، وستعود بعد الولادة، فوافق زوجها، بعدها بأيام ذهبت المرأة إلى بيت أهلها، وفرحت بلقائهم، ومضت الأيام، وكانت تفكر ماذا ستقول لزوجها؟ حين تعود. وأخبرت أخواتها بأن ضريبة لقائها بهنّ كذبها على زوجها، وأخذت تفكر في وسيلة للخروج من مأزقها، فتوسلت لأختها أن تعطيهما أصغر أبنائها ولكنها رفضت، وبعد مدة استعدت للعودة إلى منزلها ورافقها أخوها، ولكن كان يغطي وجهها الحزن فسألها أخوها عن سبب حزنها فأخبرته أنها كذبت على زوجها، فنصحها أن تصارح زوجها بالأمر، وتصدقه القول، بعدها توقفا للصلاة بالقرب من الوادي، وذهبت خولة لتتوضأ فسمعت بكاء طفل صغير فهرعت لمصدر الصوت فوجدته ملقى على الأرض، وقد غطت لفاقة كامل جسمه، فأخذته، وضمته إلى صدرها بحنان فنام في حضنها وبعد أن فرغ أخوها من الصلاة رأى الطفل بين يديها، وأخذ يقنعها بتركه، فأغلب الظن أن يكون ابن حرام، فوعده أن تصارح زوجها بأمره حين يشتد عوده.

فرح الزوج بعودة زوجته للبيت، واشتد فرحه حين رآها تحمل بين يديها ابنه، وأخذ يقبله ويحضنه، وهكذا كبر الطفل في ظلها من دون أن تخبره بحقيقة أمر الطفل، ومرت الأشهر، وحملت الزوجة، وفرحت فرحا شديداً، وهكذا نشأ الطفلان معاً، وكبرت الأخوة بينهما. ولكن بعد مدة شعر الأب باختلاف كبير بين طباع الطفلين، فالابن الأصغر مولع بالفروسية، والرماية، والصيد، بينما الأكبر يميل إلى الاعتناء بالأغنام. وذات ليلة قالت المرأة لزوجها سأروي لك قصة، وسأطلب منك أن تكون الحكم فيها، فروت قصتها من دون أن يعرف أنها تحكي عن نفسها، وفي النهاية سألته «لو كانت تلك المرأة زوجتك، فهل ستغفر لها؟» فأجاب: «نعم» وسأسامحها، فصارحته بعدها بالأمر، ولم يعاتبها، لأنه أدرك أنه هو من دفعها لتلك الكذبة لكنه اشترط أن يصارح الطفل وسيظل معهم في البيت، ويعلمه أمور التجارة.

تكشف حكاية «خولة» بعض العادات والتقاليد في المجتمع العماني- بخاصة البادية التي تمتد جنورها إلى الماضي، وهي إذا كان أهل الزوجة في مكان بعيد عن إقامتها يفضل ألا تذهب لزيارتهم إلا وهي تحمل طفلها الأول. لذا لجأت الزوجة لحيلة لتذهب لأهلها لشدة الشوق لرؤيتهم. ولما علم الأخ بحيلة أخته نصحها، بضرورة أن تصدق زوجها القول، ولا تكذب عليه، وكان نصيبها أن صفح عنها الزوج. وقد أشارت الحكاية إلى واجب تربية ابن الزنا ورعايته، مع ضرورة إعلامه بحقيقة نسبه، وأن يكون ذلك في العلن، كما سبقت الإشارة.

وحان وقت جني الرطب، جنى الزوج تمر النخلة، وخرنه في إناء للاستفادة منه في فصل الشتاء، ولما جلسوا مرة أخرى للقهوة بالتمر ذكرته المرأة بأن هذا التمر من فضل وبركات أبيها، فتأذى الزوج من كلام زوجته، فقام بقطع زور النخلة، وصنع منها دعنا، وقطع الجذع ليستفيد به في بناء أحد جدران غرفة، وكانت المرأة كلما دخلت الغرفة أو جلست في الدعن ذكرت الزوج بأن هذه هي خيرات أجزاء نخلتها، وبعدها قام الزوج بعد غضبه من الزوجة وتكرار أذاها فاقتلع البرشي من جذوره، وزرع في تربته برسيميا، فقالت المرأة: «ما كان البرسيم لينمو إلا بسبب خصوبة تربة البرشي» فقال الرجل: لا حول ولا قوة إلا بالله يوم ورثت هذا البرشي.

تبين حكاية «المرأة والبرشي» نمط حياة أهل الريف، وموسم القيقظ في فصل الصيف، ومن العادات الأصيلة في الثقافة العمانية جلسات تناول القهوة للنساء والرجال. وتركز الحكاية على فكرة أساسية وهي معايرة الزوجة لزوجها ومثابرة عليه بما ورثته عن أبيها، ومدى تأثير ذلك في تكدير الحياة الزوجية في مواقف عدة من الحكاية. ورغم ذلك تحمّل الزوج وحاول عدة مرات ثني زوجته عن المعايرة وفشل. وهنا توضح الحكاية مثالب المرأة التي دائماً ما تذكر فضل أبيها على أسرتها بما يصل إلى حد المعايرة، ومدى تحملها لذلك، ومحاولته تنيها عن هذا الفعل. وهذا يكشف عن نمط الزوج العاقل المتدين الذي لا يلجأ لأذية زوجته رغم معايرتها له.

٥- العادات والتقاليد والمعتقدات

تناولت بعض الحكايات الشعبية عادات وتقاليد تعكس خصوصية المجتمع العماني منها: تفضيل زيارة العروس لأهلها وهي تحمل أول مولود لها، بخاصة إذا كان الأهل في منطقة بعيدة، فضلاً عن انتشار قيمة الصبر، وبخاصة الصبر على الشدائد. وبعد أيضاً حفظ القرآن في الصغر من العادات المفضلة في المجتمع العماني. ويظهر في الحكايات أيضاً الاعتقاد في السحر والسحرة سواء السحر الأبيض أو السحر الأسود.

ففي حكاية «خولة»: يحكى أن هناك عروساً زوجها تاجر مشهور معروف بكرمه وطيب أصله، كان يرفض زيارتها لأهلها إلا وهي تحمل طفلها. وبعد مضي خمس سنوات من غير أن يرزقا، اشتعل الحنين بقلب خولة لأهلها، ففكرت في حيلة بأن أخبرت زوجها أنها تشعر بضعف، ودوار، وحين سألت جارتها أكدت لها أنها بواذر الحمل، ومضت الأشهر، فطلبت من زوجها أن يصحبها لزيارة أهلها حيث

من المنزل سقط خلخالها الذهبي من قدمها، فمدت يدها المرتجفة بيضاء، لالتقاط ذلك الخلال ولكن المعلم رآها.

وفي اليوم التالي ذهبت مريم إلى حلقة العلم كالعادة، وعندما انتهى الطلاب من الدرس ختموا بدعاء للمعلم ولكن مريم ظلت صامته وقالت: «معلمنا جزاك الله شراً، وعقب الشر نيران السعير»، فسكت المعلم لبرهة حتى ينتظر انصراف كل الطلاب إلى منازلهم، حينها اقترب نحو مريم وبركان الغضب يثور داخله وسألها عما رأته يوم سقط خلخالها، فكان الصمت والخوف هو جوابها، وأعاد عليها السؤال أربع مرات، وعندما لم تجب هدهداً بأنه لن يتركها قال لها: «سأخبرك بين اثنتين النفخة أم الناطبة»^(٥)، فاختارت الناطبة. وعندها وجدت نفسها في صحراء قاحلة على امتداد النظر واسترقت من بعيد صوت قطيع من الغنم، أشفق الراعي لحالها، فعرض عليها العمل معه، بعد فترة لاحظ الراعي منذ مجيء مريم أن أغنامه تموت واحدة تلو الأخرى، فأعطاهما أجرها وأمرها بالرحيل.

وبعد ذلك اتخذت مريم من الطرق ملجأ لها. وفي يوم طلبت منها امرأة أن تعمل معها في مهنة الخياطة، وما زال المعلم الشرير يتربص بها شراً، وبعد مدة من الزمن لاحظت الخياطة أن كل الملابس التي كانت قد أكملت حياكتها مريم مقطعة. فقررت مريم الرحيل إلى المستقبل المجهول، وهكذا أصبحت مريم أسيرة للطرقات. وفي يوم من الأيام وجدها شاب فاصطحبها معه إلى منزله، وبعد أن ضيفها وأعطاه من القوت ما يشد عودها الضعيف، عرض عليها العمل مع أمه في إدارة شؤون المنزل، ووجدت الأم في مريم ما يؤهلها لأن تكون زوجة صالحة لابنها.

وبعد مدة أنجبت مريم طفلاً فرفعت يديها إلى السماء لتشكر ربها، وذات يوم استيقظت في الصباح الباكر لترى طفلها قد فارق الحياة وأصبح جثة هامدة. وهكذا كانت في كل مرة تتجرب فيها لا يعيش الطفل لديها أكثر من سنة، ولكن الأمل لم ينطفئ يوماً؛ لأن إيمانها بالله كان يوقد الأمل في نفسها. وعندما حان موعد سفر زوجها ودعها وسألها إن كانت ترغب بشيء ما، فطلبت منه أن يحضر لها حصاة الصبر، فأحضر لها ما طلبت فأخذت مريم الحصاة وغطتها بوشاح أخضر (ذات دلالة في الثقافة العمانية)^(٦)، ثم قامت تكلم الحصاة وتقول لها: «يا حصاة الصبر اصبري كصبري»، وأخذت تبث شكواها لهذه الحصاة وتروي لها المواقف التي حصلت لها، وفي كل قصة ترويها كانت الحصاة تكبر وتكبر حتى تفتتت، ورأى الزوج ما حدث للحصاة بينما كان هو مختبئاً خلفها، فتعجب لما رأته عيناه، ثم دخل عليها وقال لها: «من أين لك بهذا الصبر الذي لم يستطع

في حكاية «رحلة صيد بانسة» يحكى أن هناك رجلاً وامرأة لم يزرقا بطفل، فكانت تلك المرأة تراقب أختها الصغرى وهي تعتني بأطفالها، وكثيراً ما كانت تبكي بداخلها حين تسمع كلمة (ماه) التي طالما حرمت منها، وبعد خمس سنوات أنجبت طفلاً آية في الجمال ففرحت به فرحاً شديداً، فأخذت على عاتقها أن يقوموا بتربية هذا الطفل تربية سليمة؛ بتعليمه الفروسية والرماية والصيد. وفي يوم من الأيام أراد الأب أن يذهب إلى الصحراء ليصطاد، وعندما هم بالخروج من المنزل سأله الابن أن يخرج معه للصيد، لكن الأب رفض اصطحابه، وعندما سار الأب في طريقه إلى الصحراء كان الابن يمشي خلفه من دون انتباه الأب بذلك، وفجأة سقط الابن على الأرض فأصدر صوتاً، عندها رفع الأب مباشرةً بندقيته؛ ظناً منه أنه ضب فصبوب رصاصة استقرت في رأسه ففارق الابن الحياة، وعندما ذهب الأب ليرى صيده رأى ابنه وقد فاقت روحه وغطى الدم ملامح وجهه البريئة، حينها شلت حركة الأب وصدمت الأم صدمة كبيرة، وكثيراً ما كانت تقوم بإلقاء اللوم على الأب، وعندما ينس الرجل من حالتها هذه قال لها: «اذهبي إلى بيوت القرية وأحضري إناء من البيت الذي لم تصبه مصيبة وسوف أرجع لك ابنك». ففرحت الأم وقامت بالتجسس على كل بيت؛ أملاً أن تجد بيتاً لم تحدث فيه مصيبة، وبحثت في كل بيوت الحارة لكنها لم تجد، تعلمت حينها درساً لن تنساه، فرجعت إلى المنزل، وقد اقتنعت أن الذي ذهب لن يعود. تكشف هذه حكاية عن حكمة مفادها «لا يوجد بيت لا يعاني من مشكلة أو مصيبة ما»؛ حيث تبين أحداث الحكاية معاناة المرأة من العقم وعدم الإنجاب، ثم فقدان الابن، وتروي الحكاية العديد من المواقف تعكس ذلك.

وفي حكاية «مريم وحصاة الصبر»: يحكى أن هناك حفظة لكتاب الله يتلون الكتاب بصوت عذب تحت ظل شجرة، وعندما ينتهون من حلقة العلم يدعون لمعلمهم ويقولون: «معلمنا جزاك الله خيراً، وعقب الخير جنات النعيم»، وكان من بين هؤلاء الطلبة فتاة اسمها مريم متميزة، حيث حفظت نصف المصحف. وكان المعلم يحظى بقدر كبير من الاحترام في المجتمع. وفي يوم من الأيام مع إشراقة فجر جديد استيقظت أم مريم لتعد الحساء؛ لترسل بعضها مع ابنتها لمعلم القرآن، وعندما وصلت مريم عند باب المنزل لم تدخل إلى غرفة المعلم، حتى لا تقطع قراءته المعلم للقرآن الكريم. ولكنها استرقت النظر من باب الغرفة، فرأت بين يدي المعلم سكيناً قد تبللت بدماء طفل بريء قد قتل، فدهشت ولم تصدق، والأغرب من ذلك أن الطفل لم يصدر أي حركة أو صوت. وعندما همت بالخروج

الشريرة وغيرها، هي نماذج محسوسة يسمع بها الطفل فيمن حوله، وبهذا تخاطب الحكاية ما هو في متناول سمع الطفل وبصره ويمتلئ به واقعه المحيط به.

وتسهم الحكاية الشعبية في تكوين المفاهيم الحياتية لدى الفرد، ومنها الموت مقابل الحياة، والنجاح في مقابل الفشل، والإخلاص مقابل الخيانة، والكذب مقابل الصدق. وغيرها من المفاهيم الأخرى ذات الأهمية في إرساء الإطار القيمي للفرد، الذي ينمو بنمو خبراته اليومية طوال حياته. والحكاية الشعبية ليست وسيلة لتسليية الفرد فحسب، بل لتأقينه المعايير الاجتماعية للجماعة التي ينتمي إليها. ويتعلق الأفراد بشخصيات الحكاية المفضلة لديهم، ويحاولون محاكاة أفعال تلك الشخصيات، ومن هذه الحكايات يتعلم الإنسان السلوكيات المرغوب فيها من قبل الجماعة، والدور الذي يجب أن يناط بهم في المجتمع، ويمكن للوسائط الاجتماعية التي تنقل المعرفة، أن تستخدم للتأثير في عقول الناس، ولتأكيد الفروق بين الجنسين على سبيل المثال، وبوسع المعتقدات الثقافية عبر هذه الحكايات أن تنتقل من جيل إلى آخر، وهذا ما أشارت إليه دراسة (المغواير، ٢٠٠٨: ٢٤-٢٩).

ومن ثم، معظم الحكايات الشعبية تدعم لدى الفرد مفهوم الذات والصورة الذهنية لمكونات البيئة من حوله. حيث تساعد هذه الحكايات على توسيع أفق المتلقي، وإطلاق العنان لخياله وأفكاره ليتابع أحداث القصة مما يطور لديه قدرة التفكير والتخيل، ويعطيه فرصة للاستماع والاستيعاب والمشاركة في نقاش جماعي بينه وبين إخوانه حول أحداث الرواية وموضوعاتها، الأمر الذي يعطيه الفرصة للخوض في نقاشات حول مواضيع مختلفة يمكن أن يشارك في نقاشها في المجال العام. فضلا عن ذلك، يمنح الفرد فرصة لسرد وقص ما سمع وفهم من الحكايات، عندما يحين دوره ليقص حكاية فهمها واستوعبها الأمر الذي يساعده على الحفظ والاستظهار في مرات قادمة.

٢- إلقاء الضوء على بعض الفئات الضعيفة في المجتمع

من خلال عرض بعض الحكايات الشعبية لوحظ أن هناك عددا غير محدود من القصص والحكايات الشعبية انتقلت من جيل إلى آخر، تناولت بعض الشخصيات التي لم تنل اهتماما كافياً من جانب ذويهم والمجتمع. هذه الحكايات الشعبية ضرورية وحيوية لاستمرارية نسق القيم والعادات والتقاليد الثقافية، بهدف حماية المجتمع من بعض الأمراض الاجتماعية التي تمثل تهديدا لمنظومة الأمن والاستقرار من

الصخر تحمل ما تعانين منه. وفي يوم من الأيام رأت أبناءها قد سقطوا في حفرة عميقة، وهم يطلبون نجاتها، حينها قررت الزوجة أن ترجع إلى بلادها. وعندما كانت في طريقها إلى منزل والديها سمعت بخبر وفاة المعلم، بعدها ذهبت إلى بيت المعلم فوجدت أولادها الثلاثة هناك.

تكشف حكاية «مريم وحصاة الصبر» ممارسة السحر في الخفاء من قبل معلم القرآن للأطفال. ومدى قيمة حفظ القرآن الكريم لصغار السن، وتأثيره في نفوسهم، وتعلمهم آداب ومعاملات عديدة فضلا عن الصبر. وقد تبين من أحداث الحكاية أن هناك من يقوم بتحفيظ الأطفال القرآن «المعلم» ويمارس السحر من دون علم المحيطين به، وعندما علم بأن إحدى تلاميذاته عرفت بسر، تتبعها ونالها بالأذى في مواقف عدة من أحداث الحكاية. ولم ينته الأذى إلا بموته، وهنا دلالة على أن أذى الساحر للمحيطين به لا ينتهي إلا بانتهاء حياته.

رابعاً: الدلالات الاجتماعية والثقافية للحكاية الشعبية

تشمل الدلالات الاجتماعية والثقافية جملة مفردات منها ما يتعلق بالبعد الاجتماعي فيما تنقله الحكاية الشعبية من تصور للبيئة الاجتماعية، ونمط الحياة، وأساليب المعيشة في الزمان والمكان، حتى يكشف عما يتعرض له المجتمع من تغيرات، وتكشف عن أي جماعة تتحدث الرواية وفي أي مستويات اجتماعية، والمهن الموجودة. أما الدلالات الثقافية فتبدو من خلال جملة العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية ومنظومة القيم الأساسية، كما يفصح عنها مضمون الحكاية.

١- دور الحكاية الشعبية في تكوين الصورة الذهنية

من المعروف أن الحكاية الشعبية ذات أثر في تنمية التخيل عند المتلقي؛ حيث إن المزج بين الخيال والواقع يتيح للفرد معايشة الوهم الذي يضعه لنفسه بنفسه طوال وقت الحكاية، ويمثل أهمية خاصة في تنمية قدرة الطفل على التخيل، وأهمية التخيل في حياة الطفل، وما له من وظائف اجتماعية ونفسية، تمتد لتشتمل على إعداد الطفل لحياة الراشدين، إلى جانب اشتغالها على تحقيق التوازن الاجتماعي والنفسي للفرد (السيد، ١٩٩٦).

وإن الاستهلال بالعبارة كان يما كان له أهمية في إدراك الطفل لواقعه الذي يختلف عما تنطوي عليه الحكاية من أحداث قد تكون منافية لما يعرفه ويشعر به من حوله. وفي الوقت نفسه، فإن الحكاية تطرح بعض الشخصيات التي يعرفها الطفل فيمن حوله، فتمودج الأم الطيبة وزوجة الأب

تلتزم الصمت، وفي بعض الأحيان تكون قادرة على اتخاذ القرار بالاستعانة بالرجل سواء كان زوجاً أو أخاً أو ابناً. فضلا عن المرأة الشريرة التي تلجأ للسحر لأذية أعدائها. وبرزت بوضوح المرأة أو الفتاة الجميلة، وفي الغالب ما يتزوجن من الأغنياء والأمراء. وعادة ما يرتبط الجمال عند المرأة في الحكاية الشعبية بالذكاء والمبادئ الأخلاقية. وتوجد سمات ظاهرية كثيرة للشخصية النسائية في الحكاية الشعبية مثل حلي المرأة وزينتها، أو أن توصف المرأة بأنها ولود أو عقيم.

وتكشف الحكايات الشعبية أن الشخصية المحورية في أغلبها نسائية، ونادراً ما نجد حكاية شعبية تخلو من الشخصيات النسائية. وتعكس الحكاية صور التضاد بين النساء، فهناك من تتصف بالطيبة والتسامح والكرم، وهناك الشريرة التي تعتاد الغدر والخداع والمكر، أو الاستعانة بالسحر لتدبير المكائد. وتجسد بعض الحكايات سباق الفتن بين النساء في محيط الجيرة، ومن أهم مظاهره حب التفاخر والمباهاة بالأهل، حتى لو لجأت النساء إلى الكذب والخداع، تعبيراً عن مدى ثراء الأهل. وهذا ما أشارت إليه دراسة (الصباغ، ١٩٩٧).

٤- منظومة القيم الاجتماعية والمعتقدات الشعبية

تشير بعض الحكايات الشعبية من خلال بعض العادات والمعتقدات إلى نسق القيم الاجتماعية في المجتمع العماني، تكشف عنها طبيعة العلاقات بين أفراد الأسرة وفي سياق الوحدة المعيشية منها حب الابنة لأبيها، وحب الابن لأمه، وطاعة الوالدين. حيث كشفت الحكاية الشعبية عن مدى أهمية ومكانة وصايا الأب من نفس ابنه. ومن ثم إعلاء قيمة احترام الوالدين، والرغبة في المعرفة واكتساب الخبرة من خلال التأكد من مصداقية الوصايا الأربع، أي طاعة عن بينة.

وقد تناولت بعض الحكايات الشعبية عادات وتقاليد منها تفضيل زيارة العروس لأهلها، وهي تحمل أول مولود لها، بخاصة إذا كان الأهل في منطقة بعيدة. ويعد أيضاً حفظ القرآن في الصغر من العادات المفضلة في المجتمع العماني، ومدى تأثيره في نفوسهم، وتعلمهم آداب ومعاملات مفضلة.

ويلاحظ كذلك إعلاء قيمة الصبر في الحكاية الشعبية، وبخاصة الصبر على الشدائد. حيث انتهت إحدى الحكايات بحكمة مفادها: «لا يوجد بيت لا يعاني من مشكلة أو مصيبة ما»، فضلا عن صبر المرأة على معاناة تأخر الإنجاب،

داخل الأسرة، وتمتد إلى المجتمع المحلي الصغير ثم إلى المجتمع الكبير.

ففيما يتعلق بالشخص من ذوي الإعاقة، وباستقراء مضمون الحكاية التي تناولت الابن المعاق كشخصية محورية، يلاحظ أن هناك العديد من الرسائل تود نشرها في نفوس متلقي الحكاية الشعبية، منها أن الابن المعاق على اختلاف نوع إعاقته طاقة وعنصر فاعل في مجتمعه الصغير (أسرته). وقد أثبتت المواقف أنه بطل وشجاع، ويتحدى إجحاف المحيطين به من دون مقاومة. لذا ينبغي عدم الاستهانة به أو التمييز ضده سواء من داخل أسرته، أو في مجتمعه. وبمنظرة متعمقة للحكايات الشعبية الخاصة، يمكن رؤية منظومة الأدوار والعلاقات داخل العائلة الصغيرة، حيث تظهر مدى التباين في معاملة الابن المعاق عضواً داخل الأسرة، وهذا ما أكدته دراسة (النبلاوي، ٢٠١١).

وتبدو نظرة المجتمع للفقير، من خلال ما يكشف عنه مضمون بعض الحكايات بأنه عديم الحيلة؛ فقد تشير إلى أنه لا يوجد فقر ولكن يوجد عدم حيلة، فلا بد أن يحتال الفقير لكي يكسب قوت يومه. وينطبق على الفقير «اتق شر من أحسنت إليه» لأنه يمكن أن يؤدي من ينصحه.

أما صورة ابن الزنا في الحكاية الشعبية فقد برزت في إطار حكاية الوصايا الأربع كما سبقت الإشارة إليه، وتعكس الحكاية بوضوح نظرة المجتمع لابن الزنا، وواجب المجتمع تجاهه الاهتمام والتربية، مع ضرورة إعلامه بحقيقة نسبه، وأن يكون ذلك في العلن، إلا أنه لا يرث من قام بتربيته، وهذا حكم شرعي في الإسلام.

٣- صورة المرأة في الحكاية الشعبية

تكشف بعض الحكايات الشعبية المختارة عن العديد من المظاهر التي تعكس صورة المرأة. فقد شغلت النساء مكانة واضحة في الحكاية الشعبية سواء كانت صبية صغيرة أو فتاة شابة أو عجوزاً، وبرزت من خلال موضوعات عدة تعكس واقع الحياة الاجتماعية في البيئة العمانية، وبخاصة في سياق الوحدة المعيشية، وسجلت بعض أشكال المعاناة والمكائد بسبب الغيرة بين الزوجات، أو بين الزوجة وأخت الزوج التي تمتد إلى ابنته يتيمة الأم. وهناك حكاية أخرى تكشف عن رغبة المرأة في معايرة زوجها بما ورثته عن أبيها، ووضع البنت يتيمة الأم بعد زواج والدها ومعاناتها من زوجة الأب، ومعاملتها كأنها خادمة والرغبة في التخلص منها.

كما تبدو المرأة العاقلة في الحكاية الشعبية هي تلك التي

وما زالت الحكايات الشعبية تؤدي دورها في إثراء المعرفة البشرية من خلال تصويرها أحداث الحياة وانتقالها عبر الأفراد والأجيال، وعبر المجتمعات أيضاً؛ فهي بالإضافة إلى أنها تحمل في بعض جوانبها بقايا من الأساطير، والمعتقدات الشعبية القديمة في منطقة الخليج العربي، تعكس أيضاً تصويراً ووصفاً لبعض قطاعات من الحياة الإنسانية والأحداث التاريخية التي شهدتها المنطقة. فمن خلال ما يرويها الراوي يتعلم السامعون قيم المجتمع وفنائل الحياة وغرائب الطبيعة، ومغامرات الأبطال، فضلاً عن المتعة والتسلية (وزارة التراث، ١٩٩٠: ٢١١).

ومع أهمية الحكاية الشعبية في استمرار التراث الشعبي، إلا أن التراث عبر مسيرته التاريخية يمر بمراحل فاعلة في المحيط الاجتماعي مما يجعلها تتخطى حدود مرحلتها التاريخية. ولكن التخفي لا يتحقق إلا من خلال التفاعل مع الأوضاع الجديدة بأشكال متفاوتة، فقد تخضع بعض العناصر التراثية للاستمرار بالمعنى الاجتماعي الثقافي النسبي، وبعضها تفقد أحياناً الاستمرارية إذا كانت غير مسايرة للحياة الاجتماعية، وهذا ما أشارت إليه دراسة (الجرو والعلوي، ٢٠٠٧).

الاستنتاجات

ما زالت الحكايات الشعبية تروى في هذا العصر، خاصة للأبناء الصغار؛ وذلك لحفظ هذه الحكايات بتوارثها جيلاً عن الجيل. وإن كبار السن هم الذين يقومون برواية الحكايات، ويرجع ذلك إلى غزارة وتنوع المخزون الثقافي الذي يمتلكونه من الحكايات الشعبية، والذي اكتسبوه خلال مراحل حياتهم الطويلة، ومن ثم تتأصل الحكايات الشعبية في نفوس أبناء المجتمع. إن جميع أعضاء العائلة يستمعون إلى الحكايات الشعبية، لأن الراوي غالباً ما يكون من أفراد الأسرة، فينتقي الوقت المناسب الذي يجتمع فيه أفراد العائلة. وإن مضمون الحكايات الشعبية قد يجمع بين وقائع تاريخية، ومغامرات، وخيال شعبي أيضاً.

وتفتقد الحكايات الشعبية إلى وجود اسم محدد؛ لأن تداولها بين الرواة والإخباريين كان بأحداثها ووقائعها من دون أسمائها؛ لذا فإن الحكاية الواحدة تحكى بأكثر من اسم. وتزداد رواية الحكايات الشعبية في المناسبات الوطنية والدينية والاجتماعية.

ويكشف مضمون الحكاية الشعبية أنها تروى في الغالب في موضوع واحد، ولكنها تحمل في طياتها الحديث عن أكثر من فكرة، يغلب عليها الطابع الاجتماعي والثقافي والديني؛ نظراً لطبيعة الحياة الاجتماعية للمجتمع العماني؛ لذا تبث

والصبر كان مفتاح الفرج بالنسبة لها. وتبدو مظاهر الصبر أيضاً، في مدى تحمل الرجل لزوجته ومحاولته تثيها عن التعالي والمنّ عليه بما ورثته عن أبيها، وتعلي الحكاية الشعبية أيضاً من قيمة الإنجاب، حيث شغل موضوع عقم النساء حيزاً لا بأس به في الحكاية الشعبية العمانية، وهذا يعكس مدى أهمية الإنجاب في الأسرة العمانية كقيمة اجتماعية وثقافية مهمة، كما تعلي من قيمة إنجاب الذكور، باعتبارهم عماد اقتصاد الأسرة في البيئات البدوية خاصة.

أما بالنسبة للمعتقدات الشعبية، فيبدو الخيال الشعبي في أن يعتقد الناس أن هناك بعض الإبل لديها حاسة تكشف المكاييد يطلق عليها «الإبل الإنسية»، فضلاً عن الاعتقاد في السحر والسحرة بشقيه الأبيض والأسود، حيث تلجأ بعض الشخصيات إلى السحر سواء في الخير أو الشر. ويسود اعتقاد يرتبط بالسحر يشير مضمونه إلى أن تأثير السحر لا ينتهي الأذى منه إلا بموت الساحر، وهنا دلالة على أن أذى الساحر للمحيطين به لا ينتهي إلا بانتهاء حياته.

٥- دور الحكايات الشعبية في دعم استمرارية الموروث الشعبي

إن الحكاية الشعبية ضرورة حيوية لاستمرارية الموروث الشعبي؛ فمن خلال الحكايات الشعبية نستطيع تعرف مضامين اجتماعية وثقافية مهمة، تكشف أهم الملامح المعنوية التي تخص قيم الجماعة في الحكاية الشعبية، وهي تصور البيئة الاجتماعية، ونمط الحياة، وأساليب المعيشة في ذلك الزمان، مما يكون له الأثر الكبير في نقل التاريخ وما يحمله من تغيرات، كما بينت دراسة (الصباغ، ١٩٩٧).

والحكاية الشعبية وسيلة أساسية تمكن من تعليم وتلقين أفراد المجتمع أهم المعايير الاجتماعية، وأنماط السلوك المفضل، والدور الذي يناط بهم من خلال تعلق الأفراد ببعض الشخصيات التي سمعوا عنها ومن ثم محاولتهم تقليد أو محاكاة تلك الأفعال. بالإضافة إلى ما توفره تلك الحكايات من الراحة والتسلية والترفيه لا سيما الأطفال.

وتسهم الحكايات الشعبية في دعم التماسك الأسري، والتقاء أفراد العائلة والتواصل بينهم. ويتعلم الأطفال فن الإصغاء والإلقاء والتحاوور في أجواء يعمها الفرح والسرور، مما يزيد من قوة الروابط والانتماء بين أفراد الأسرة. وللحكايات الشعبية دور مهم أيضاً في توسيع مدارك الصغار وتنمية مواهبهم بالإضافة إلى الرسالة التربوية والتثقيبية التي تحملها الحكايات بين طياتها، فلا تخلو الحكاية الشعبية من قيمة أخلاقية وخصال حميدة، أو بعد ديني أو قيم اجتماعية تهدف إلى غرس الطابع الإيجابية والقيم في نفوس مستمعيها.

معيشة العماني القديم. وهذا من غير شك أسهم في نقل حقب تاريخية وما تحمله من ملامح التغيير الاجتماعي.

وفي وقتنا الراهن تتعرض الحكايات الشعبية لتهديد قد يقلل من فرص استمراريتها بعض الشيء، وذلك بفضل عمليات التغيير المستمر التي تمر بها المجتمعات من الداخل أو من الخارج. وهذا من غير شك يهدد استمرار بريق الحكاية الشعبية أمام غزو الفضاءات المفتوحة والتطور المذهل في وسائل الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي. ومن أهم مظاهر هذا العصر تراجع الحكاية الشعبية، وأنها تُستحضر فقط في دوائر معينة أو مناسبات محددة كالأعياد الدينية أو الوطنية أو الثقافية. وعلى الرغم من انحسار الحكاية الشعبية فإنها مصدر استلهام من قبل وسائل الإعلام الحديثة من خلال برامج الصور المتحركة. ومن مظاهر استحضر الحكاية الشعبية في وقتنا الراهن ما تسهم به حركات الإبداع الفني من خلال عرض الحكايات الشعبية على خشبة المسرح مع إضافة لمسات الإبداع عليها.

وبناء على ما تقدم، توصي الدراسة بالآتي:

- الاستمرار في الدراسات العلمية في مجال التراث الشعبي عامة والحكايات الشعبية خاصة.
- محاولة دمج هذا الموروث الشعبي (الحكايات الشعبية) في البرامج الدراسية بخاصة المناهج والأنشطة اللاصفية من أجل نقل هذا الموروث الثقافي، وما يحمله من منظومة قيم ومعايير ثقافية للأجيال القادمة.
- استثمار وسائل الإعلام المختلفة في نشر الحكايات الشعبية وبلورتها في شكل مسلسلات درامية تعرض للجماهير حتى تكون مرآة عاكسة للثقافة العمانية.
- المشاركة في المعارض المحلية والدولية التي تخص مجال الحكايات الشعبية.
- التشجيع على جمع وحفظ التراث الشعبي بطرق منهجية منظمة. وفي هذا الإطار، تقوم وزارة التراث والثقافة ممثلة في قسم التراث غير المادي بجهود واضحة في حفظ التراث الثقافي، ودعمه والحفاظ عليه بشكل عام، غير أن ما يخص الحكايات الشعبية العمانية بشكلها الخاص لا يتعدى الجهود الفردية من المتطوعين في تجميع بعض الحكايات وإصدارها في كتيبات تحتفظ بها الوزارة، وهذا الأمر يحتاج لخطوة منظمة لحفظ الحكايات الشعبية عامة.

موضوعات الحكايات الشعبية قيما إيجابية حرص الأجداد على غرسها في نفوس أبنائهم. وإن أغلب المشكلات التي طرحتها الحكايات الشعبية كانت ذات طابع اجتماعي. وتعد الحكايات إحدى الوسائل المساعدة على مواجهة مشكلات الجماعة، بما تحتويه من نصائح وعبر وقيم إيجابية وغيرها.

وجدير بالذكر أن معظم الحكايات الشعبية تدعم لدى الفرد مفهوم الذات والصورة الذهنية لمكونات البيئة من حوله. وذلك من خلال ما ورد في الحكايات الشعبية من مخاطر الوديان والصحراء، وصورة بعض الحيوانات والطيور. وقد برز بوضوح دور الحكاية الشعبية في إلقاء الضوء على بعض الفئات الضعيفة في المجتمع بخاصة الأشخاص من ذوي الإعاقة، والفقير، واللقيط؛ بهدف حماية المجتمع من بعض الأمراض الاجتماعية التي تمثل تهديدا لمنظومة الأمن والاستقرار في المجتمع.

وقد شغلت النساء مكانة واضحة في الحكاية الشعبية. وظهرت المرأة شخصية محورية في أغلب الحكايات الشعبية. وقد جسدت الحكاية الشعبية صور التضاد بين النساء فهناك من تتصف بالطيبة والتسامح والكرم، وهناك الشريرة التي تعتاد الغدر والخداع والمكر، أو الاستعانة بالسحر لتدبير المكائد. وتعكس الحكاية الشعبية أيضا في أكثر من موضع احترام الرجل للمرأة.

وكشف مضمون الحكاية الشعبية جملة عادات وتقاليد متوارثة فضلا عن نسق القيم، ففي إطار العادات والتقاليد كشفت الحكاية الشعبية عن طبيعة العلاقات بين أفراد الأسرة، في سياق الوحدة المعيشية. ومن أهم عادات وتقاليد الأسرة العمانية، تفضيل زيارة العروس لأهلها وهي تحمل أول مولود لها. وبعد كذلك حفظ القرآن في الصغر من العادات المفضلة. أما بالنسبة لمنظومة القيم الاجتماعية فهناك إعلاء لقيمة احترام الوالدين، ولقيمة الصبر عند الشدائد. وتعلي الحكاية الشعبية من قيمة الإنجاب. أما بالنسبة للمعتقدات الشعبية، فيبدو الخيال الشعبي بخاصة بين أهل البادية والصحراء، فضلا عن الاعتقاد في السحر والسحرة من أهم هذه المعتقدات.

وانتهت الدراسة إلى أن الحكايات الشعبية في سياق المجتمع العماني ذات دور حيوي في دعم نسق القيم والعادات والتقاليد الثقافية، واستمرارية الموروث الشعبي؛ حيث كشفت الدلالات الاجتماعية والثقافية للحكاية الشعبية العمانية عن البيئة الاجتماعية وأنماط الحياة المتنوعة داخل المجتمع، وخصائص الجماعة، ونسق القيم والعادات والتقاليد. فهناك البيئة الريفية ومقوماتها والبيئة البدوية، حيث تجسد أنماط حياة وأسلوب

الهوامش

تربية الطفل، مجلة المأثورات الشعبية، العدد ٤٤، الكويت.

الشاذلي، مصطفى (٢٠٠٩). الحكاية الشعبية في البحر الأبيض المتوسط، مجلة الثقافة الشعبية نسخة إلكترونية.

الصباغ، وجدان (١٩٩٧). صورة المرأة في الحكاية الشعبية، مجلة المأثورات الشعبية العدد الثامن والأربعون أكتوبر ١٩٩٧، الكويت.

النبلاوي، عايذة (٢٠١١). صورة الطفل المعاق في الموروث الثقافي للمجتمع العماني: الحكايات الشعبية نموذجاً، بحث مقدم لمؤتمر واجب المجتمع تجاه الطفل ذي الإعاقة، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة في الفترة من ٢-٤ فبراير ٢٠١٠.

النبلاوي، عايذة (٢٠١٢). الثقافة الشعبية وتنمية الحرف التقليدية: دراسة إنثروبولوجية لبعض القرى في المجتمع المصري. المجلة العربية لعلم الاجتماع، عدد (١٠) يوليو ٢٠١٢.

أمين، أحمد (١٩٩٩). قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية، تقديم ومراجعة محمد الجوهري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

ساعي، أحمد (١٩٧٤). الحكايات الشعبية في اللاذقية، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق.

سيمث، شارلوت (١٩٩٢). موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية. ترجمة محمد الجوهري، (١٩٩٨) المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

عقيل، عبد القادر (٢٠٠٨). ظاهرة التمييز ضد المرأة في الحكايات الشعبية. مجلة الثقافة الشعبية، نسخة إلكترونية.

كمال، صفوت (١٩٨٦). الحكايات الشعبية الكويتية: دراسة مقارنة. مركز رعاية الفنون الشعبية، ط، الكويت.

ليلة، علي وآخرون، (٢٠١٠). التغيير الاجتماعي والثقافي، (ط١)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.

مرسي، أحمد علي (١٩٨١م)، مقدمة في الفولكلور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

١- استخدام بعض أدوات المنهج الأنثروبولوجي، وعادو ما يُنجز في وقت قصير من ٤-٨ أسابيع في مجتمع واحد أو مجتمعات محلية قليلة (Scrimshaw, 1987:3-21).

٢- أما الحزو في اللغة فتعني التكهن والتخمين.

٣- يطلق «حضر» على أهل القرى في الثقافة العمانية قياساً إلى البدو.

٤- ولد غبن يعني ولد زنا.

٥- النفخة، لفحة النار الملهتة من قبل حية (الثعبان) من غير أن يلدغ. أما الناطبة، فرمي بقوة إلى مكان بعيد.

٦- دلالة على الخير والبركة.

المراجع

الجرو، أسمهان والعلوي، بدر (٢٠٠٧). التراث العربي القديم بين الرؤية الإسلامية والتجديد. ورقة عمل في مؤتمر (مجتمع المعرفة: التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي حاضرًا ومستقبلًا، جامعة السلطان قابوس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، مسقط.

الجوهري، محمد (١٩٨٨). علم الفولكلور: دراسات في الأنثروبولوجيا الثقافية، (ج ١)، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، مصر.

الجوهري، محمد (١٩٩٠). الأنثروبولوجيا: أسس نظرية وتطبيقات عملية، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، مصر.

الجوهري، محمد (٢٠٠٠). الفولكلور العربي، بحوث ودراسات، المجلد (١)، (ط١)، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

الجوهري، محمد (٢٠٠٩). المنهج في دراسة المعتقدات والعادات والتقاليد، مجلة الثقافة الشعبية، العدد الرابع، البحرين.

الذهب، خديجة (٢٠٠٧). حكايات شعبية من ظفار (حكايات جدتي)، مؤسسة الانتشار العربي، النادي الثقافي، مسقط.

السيد، عزيزة (١٩٩٦). الأثر النفسي للقصة القصيرة في

الشاذلي، مصطفى (٢٠٠٩). الحكاية الشعبية في البحر الأبيض المتوسط. مجلة الثقافة الشعبية نسخة إلكترونية.

مغواير، بريثالي (٢٠٠٨). مظاهر التمييز ضد المرأة في الحكايات الشعبية: الحكايات الشعبية الروسية نموذجاً، ترجمة عبد القادر عقيل، مجلة الثقافة الشعبية، العدد الأول، البحرين.

وزارة التراث القومي والثقافة، (١٩٩٠). حصاد أنشطة المنتدى الأدبي لعام ١٩٩٠/٨٩، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

المراجع الأجنبية

Scrimshaw, Susan.C.M,1987 , Rapid Assessment Procedures for Nutrition and Primary Health Care, New York.